التناسب المعنوى وانتظام نسق الكلام في النظم القرآني	د/ أحمد السيد أحمد حجازى أستاذ البلاغة والنقد المساعد كلية الآداب ـ جامعة حلوان

توطئة

من الثابت أن لكل سورة من سور القرآن الكريم هدفا خاصا ومقصدا محددا ، وشخصية متفردة. والمعانى الجزئية ، والوحدات الصغرى ،وأساليب التعبير ، ومفردات التركيب تتجه جميعها لخدمة هدف السورة وتتأثر فى صياغتها بروحها.

ومع أن بعض السور تتشابه فى بعض الآيات وتلتقى فى بعض المعانى الجزئية ، فإن ذلك لا يتنافى وانفراد كل سورة بموضوعها وهدفها ، بل إن تلك المعانى المشتركة بينها هى التى تشهد بوحدة النسق فى النظم القرآنى ، لأنها تتأثر فى ألفاظها وتراكيبها بروح السورة وجوها الخاص ، فيعبر عن المعنى الواحد من تلك المعانى المشتركة فى كل سورة بألفاظ وتراكيب تختلف قليلاً أو كثيراً عن الألفاظ والتراكيب التى عبر عنه بها فى السور الأخرى ، وعند البحث فى ذلك يتبين أنه اختلاف ناتج عن مراعاة التناسب ووحدة النسق فى النظم ٠ ومن العلوم التى تعين على معرفة التناسب "علم مقاصد السور" .

يقول السيوطى : "الأمر الكلى المفيد لعرفان مناسبة الآيات فى جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذى سيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات فى القرب والبعد من المطلوب ٠٠ فهذا هو الأمر الكلى المعين على إحكام الربط بين جميع أجزاء القرآن" (١)

وعرف برهان الدين البقاعى علم المناسبة ، وبين قيمته ، وأشار إلى توقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السور، فقال: "علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه ، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة الكلام لما اقتضاه من الحال ٠٠٠وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السور المطلوب ذلك فيها. ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها ، فلذلك كان هذا العلم فى غاية النفاسة" (٢)

إن البحث فى التناسب المعنوى الذى يراعى فى وحدة السورة ووحدة النسق طويل وعويص ، لأنه يبحث فى أسرار اختيار ألفاظ القرآن ومفرداته وتراكيبه وأبنيته ، وفى أوجه التناسب فى اختيار كل عنصر من تلك العناصر، وفى وضعه فى موضعه المقدر له من السياق القريب والبعيد داخل إطار السورة وهيكلها المترابط الأجزاء.

ومرد الصعوبة فى ذلك هو أن كل ألفاظ القرآن وتراكيبه وسائر مواده البيانية مختارة بإحكام ، متواصلة بإحسان ، مبنية بميزان ، فالبحث فى ذلك يعنى البحث فى كل تركيب وجملة بل فى كل كلمة ٠ هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة ومبحثين:

الأول بعنوان : (التناسب فى وحدة النسق واختيار المفردات)

وبيّنت فيه ما يراعيه القرآن من تناسب فى استعمال الألفاظ وذلك من خلال الدراسة التحليلية لبعض الآيات المتشابهة لفظا ، والألفاظ المتقاربة معنى.

ولما كان اختيار الألفاظ يخضع لمراعاة وحدة السورة وروحها ومقصودها حيناً وللسياق القريب حيناً ، جاءت الدراسة التحليلية على النحو التالى :

تحليل للآيات التى يخضع اختيار كلمة من كلماتها للسياق القريب منها. والآيات التى يتصل اختيار كلمة من كلماتها بوحدة السورة ومقصودها العام.

وفى المبحث الثانى : كان الحديث عن التناسب فى وحدة النسق واختيار التراكيب فى النظم القرآنى ، وأشرت فى بدايته إلى نظام تركيب الجملة فى اللغة العربية وما يمتاز به من المرونة.

ونظراً لعدم اتساع المجال فى هذا المبحث لدراسة كل أحوال تركيب الجملة القرآنية ، وبحث صلتها بالتناسب المعنوى وانتظام نسق الكلام • يكفينا ان ندرس من تلك الأحوال الحذف والذكر ، والتقديم والتأخير ، على أن يكون اهتمامنا منصباً على الصلة بين هذه الأساليب وبين التناسب فى النظم القرآنى.

المبحث الأول

التناسب فى وحدة النسق واختيار المفردات

أشار غير واحد من علماء الاعجاز القرآنى إلى ما يمتاز به القـــرآن من دقة وإحكام فى اختيار الألفاظ والمفردات.

فتناول أبو بكر الباقلانى هذا الوجه من إعجاز القرآن فى فصل قيـم ، أشار فيه إلى قيمة علم البيان ، وفائدته فى التفرقة بين الكلمات المتقاربـــة ، وفى وضع كل منها فى المكان المناسب ، قال: "٠٠٠ علم البيان علم شـريف المحل ، عظيم المكان ، قليل الطلاب ، ضعيف الأصحاب ، وهو أدق مـــن السحر ، وأهول من البحر ٠٠ وكيف لا يكون كذلك وأنت تحسب أن وضـــع "الصبح" موضع "الفجر" يحسن فى كل كلام ، إلا أن يكون شعراً أو سجعا ٠ وليس كذلك ، فإن إحدى اللفظتين قد تنفر فى موضع ، وتزل عن مكـــان لا تزل عنه اللفظة الأخرى ، بل تتمكن فيه ، وتضرب بجرانـــها ٠٠٠ وتجـد الأخرى ، لو وضعت موضعها فى محل نفار ومرمى شراد ، ونائيـــة عـــن استقرار" [١]

وطبق الباقلانى هذا المقياس البلاغى على بعـــض ألفـــاظ القـــرآن ، واجتهد فى الكشف عن أسرار اختيارها ، ووجه مناسبتها للسياق الذى وردت فيه ٠ فوقف عند قوله تعالى : (وهمّت كل أمة برسولهم ليأخذوه) [٢]

وأوضح أن وجه الوقوف على شرف الكلام أن نتأمل موضـــع لفـظ "ليأخذوه" . فقال : "هل تقع موقع" ليأخذوه" كلمة ؟ ! وهل تقوم مقامـــه فـــى الجزالة لفظة ؟! وهل يسد مسده فى الأصالة نكتة ؟! لو وضع موضع ذلـــك "ليقتلوه" أو ليرجموه ، أو لينفوه ، أو ليطردوه ، أو ليهلكوه ، أو ليذلـــوه ، أو

نحو هذا ما كان ذلك بديعا ، ولا بارعا ولا عجيبا ولا بالغا ... فانقد موضع هذه الكلمة ، تعلم بها ما نذهب إليه من تخير الكلام ، وانتقاء الألفاظ والاهتداء للمعانى . فإن كنت تقدر أن شيئا من هذه الكلمات التى عددناها عليك أو غيرها يقوم مقام هذه اللفظة لم تقف على غرضنا من هذا الكتاب"(٣)

وجعل حمد بن محمد الخطابى وضع كل نوع من الألفاظ موضعه الأخص الأشكل به عمود البلاغة والإعجاز فى نظم القرآن فقال : "أعلم أن عمود هذه البلاغة التى تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التى تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذى إذا بدل مكانه غيره ، جاء منه إما تبدل فى المعنى الذى يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهاب الرونق الذى يكون معه سقوط البلاغة ، ذلك أن فى الكلام ألفاظا متقاربة فى المعانى يحسب أكثر الناس أنها مترادفة متساوية فى إفادة بيان مراد الخطاب ... والأمر فيها وفى ترتيبها عند العلماء بخلاف ذلك ، لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها فى بعض معانيها ، وإن كانتا قد تشتركان فى بعضها .." (٤)

وقال الجاحظ : "وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها ، وغيرها أحق بذلك منها . ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر فى القرآن الجوع إلا فى موضع العقاب ، أو فى موضع الفقر المدقع ، والعجز الظاهر ، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع فى موضع القدرة والسلامة . وكذلك ذكر المطر ، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا فى موضع الانتقام . والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث ، ولفظ القرآن الذى عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع ، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين ، ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين ، ولا السمع أسماعا ،

والجارى على أفواه العامة غير ذلك ، لا يتفقدون من الألفاظ ما هـو أحـق بالذكر ، وأولى بالاستعمال" (٥)

تلك إشارات تحدث فيها بعض علماء الإعجاز عما يمتاز بـه النظـم القرآنى من دقة وإحكام فى اختيار ألفاظه ، وهى إشارات تقتصر فى معظمها على التأمل الذوقى المجرد ، أو الحكم العام ، أو النظرة الجزئية . لذلك فهى لا تكفى لمعرفة أسرار التناسب التى يراعيها القرآن فـى اختيـار الألفـاظ والمفردات ، وللكشف عن صلة ذلك الاختيار بما يناسب وحدة النسق فى نظم الآيات ووحدة السورة وروحها.

وسنحاول - قدر المستطاع - أن نبيّن فى هذا المبحـث مـا يراعيـه القرآن من تناسب فى استعمال الألفاظ ، وذلك من خلال الدراسـة التحليليـة لبعض الآيات المتشابهة لفظا، والألفاظ المتقاربة معنى.

ولما كان اختيار الألفاظ يخضع لمراعاة وحـدة السـورة وروحـها ومقصودها حينا وللسياق القريب حينا ، فستكون هذه الدراسة التحليلية علـى النحو التالى:

١-تحليل للآيات التى يخضع اختيار كلمة من كلماتها للسياق القريب منها.

٢- تحليل الآيات التى يتصل اختيار كلمة مـن كلماتـها بوحـدة السـورة ومقصودها العام.

أولا : مراعاة نسق الكلام وسياقه القريب فى اختيار اللفظ أو صيغته

- ينبغى أن نشير فى مستهل هذه الفقرة إلى أن الدراسة الاستقرائية فى هذا المجال بعيدة المنال ، لأن ألفاظ القرآن كلها موضوعـة فـى الموضـع المناسب لها ، بالنظر للسياق القريب والبعيد على السواء.

إن القرآن يراعى فى اختيار اللفظ نسق الكلام وسياقه القريب ، ومن هنا نراه يعبر عن الشيئ الواحد ، أو المعنى الواحد بلفظ فى موضع ، ونراه فى موضع آخر يعبر عنه بلفظ غيره • وليس ذلك لمجرد التصرف فى الكلام، وإنما هو لمراعاة ما يناسب كل سياق ، وكل مقام • وسنقتصر هنا على عرض نماذج تكفى لتحقيق المراد.

١-قال تعالى : "إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم [٦]"

وقال فى سورة الفاتحة : "أهدنا الصراط المستقيم [٧]"

فى هذا النموذج نرى القرآن الكريم يعبر عن دين الله الذى جاء به الرسل بلفظ "طريق" فى سورة الأحقاف ، ويعبر عنه فى سورة الفاتحة بلفظ "الصراط".

والصراط : الطريق الذى جمع خمسة أوصاف هى أن يكون طريقا سهلاً ، مسلوكا ، واسعا ، موصلا إلى المقصود. فلا تسمى العرب الطريق المعوج صراطا ، ولا الصعب الشاق ، ولا المسدود غير الموصل.

أما الصراط فالمشهور عند اللغويين أنه مشتق من سرط الشئ إذا ابتلعه بلعا سهلا • فسمى الطريق صراطا ، لأنه يسرط المارة • ومن تأمل موارد الصراط فى لسانهم واستعمالهم تبين له ذلك.

والسياق الذى ورد فيه لفظ "الطريق" فى سورة الأحقاف هو سياق يتعلق بحكاية قول مؤمنى الجن الذين حملوا إلى قومهم خبر نزول القرآن ، ودعوهم إلى الإيمان.

وقولهم فى وصف القرآن : (يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم) فيه وجه دقيق من التناسب ، ذلك أنهم قدموا قبله ذكر موسى ،وأن الكتاب الذى سمعود مصدق لما بين يديه من كتاب موسى وغيره ٠ قالوا : (إنّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه) [٨] إشارة إلى أنه لم يكن أول كتاب نزل من عند الله ٠ وقولهم : "يهدى إلى طريق مستقيم" معناه : يهدى إلى سبيل مطروق ، قد مرت عليه الرسل قبله ، وأنه ليس ببدع ، كما قال فى أول السورة نفسها : (قل ما كنت بدعا من الرسل) [٩] فاقتضت البلاغة ووحدة السياق لفظ "الطريق" لأنه فعيل بمعنى مفعول ، أى مطروق ، مشت عليه الرسل والأنبياء قبل. [١٠]

أما آية سورة الفاتحة فقد ورد فيها لفظ "الصراط" لأن سياق الكلام سياق الدعاء ، وسؤال الهداية ، والذى يناسبه هو هذا اللفظ ٠ ووصف بالمستقيم زيادة فى البيان ، ولأن الذين يسألون الله الهداية إنما يسألون الطريق السهل المستقيم الموصول.

٢- قال عز وجل : "ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت [١١]".

- وقال : "وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت [١٢]".

فوصف الأرض فى الآية الأولى بأنها "خاشعة" ووصفها فى الثانية بأنها "هامدة" .

وربما يقال إن هذا مجرد تنويع فى التعبير ، غير أن التدبر فى سياق كل من الآيتين يظهر غير ذلك.

أما وصفها بالخشوع (خاشعة) ، فقد جاء فى سياق قوله تعالى : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون • فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار ••• ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) (١٣)

وهذا السياق سياق عبادة وخشوع وسجود يتناسب معه وصف الأرض بأنها خاشعة فإذا نزل عليها الماء اهتزت وربت.

وأما وصفها بكونها "هامدة" فقد ورد فى سياق قوله تعالى : (يا أيها الناس أن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ، ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئا ، وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) (١٤)

وهذا السياق هو سياق بعث وإحياء : الناس خلقوا أصلا من التراب ، وسيبعثون مرة ثانية من التراب • والتراب مادة ميتة ساكنة فمما يتناسب مع هذا السياق وصف الأرض بأنها هامدة • فإذا نزل عليها الماء اهتزت وربت، وظهرت فيها الحياة.

ويحسن أن نلاحظ أن الهمود والخشوع يتحدان فى المعنى العام ، وهو السكون ، لكنهما يختلفان فى بعض الدلالات • ولذلك كان الهمود مناسبا فى السياق الذى يدور الحديث فيه على الإحياء والبعث ، وكان الخشوع مناسبا فى السياق الذى يدور الحديث فيه على العبادة والسجود والتسبيح.

٣-قال تعالى : "فأصابهم سيئات ماكسبوا [١٥] "

- وقال فى سورة النحل : "فأصابهم سيئات ماعملوا[١٦] "

أما الآية الأولى فقد ورد قبلها قوله عز وجل : (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون • وبدا لهم سيئات ماكسبوا)[١٧] وبعد هذا : (قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)[١٨] ثم قال : (فأصابهم سيئات ما كسبوا) مراعاة لوحدة السياق وتناسبه.

وأما آية سورة النحل فقد ورد قبلها قوله تعالى مخبرا عن المشركين : (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ، إن الله عليم بما كنتم تعملون)[١٩] ثم استمرت الآية إلى قوله تعالى : (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)[٢٠] ثم صرف الكلام إلى كفار العرب فى توقفهم عن الإيمان ، فقيل : (كذلك فعل الذين من قبلهم)[٢١] والمراد الذين قالوا : ما كنا نعمل من سوء) ، فقيل بناء على قولهم ذلك (فأصابهم سيئات ما عملوا) وتناسب هذا تناسبا بينا.

٤-قال عز وجل فى سورة النجم:"إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله[٢٢] "

- وقال فى سورة الأنعام : "إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله[٢٣] "

أما الآية الأولى فمبنية على مطلع السورة فى قوله سبحانه : "والنجم إذا هوى • ما ضل صاحبكم وما غوى" • فقال تعالى مشيراً إلى حال المخاطبين : "إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله".

ووجه التناسب فى التعبير بصيغة المستقبل "يضل" فى سورة الأنعام ، أن الآية قد اكتنفها من الأفعال الاستقبالية ، والإخبار بما يكون قطعيا فى المال ما يقتضى المضارع ، ليتناسب النظم والسياق[٢٤].

٥-قال عز وجل في سورة طه : "فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى[٢٥]".

- وقال في سورة البقرة :"فمن تبع هـــداى فــلا خــوف عليــهم ولاهــم يحزنون[٢٦]"

فعبر في آية سورة البقرة بصيغة الثلاثي من فعل (تبع) وعبر في آية سورة طه بصيغة الخماسي منه "اتّبع".

لما ورد في الآية الأولى ذكر ما يفهم مه قوة كيد الشيطان في إغــواء آدم وزوجته ، وهو قوله تعالى : "هل أدلك على شـــجرة الخلــد وملــك لا يبلى"[٢٧] ناسبه "فمن اتبع" بصيغة الخماسي التي تنبئ عن زيادة على معنـــى "فعل" الثلاثي ، لأن مقاومة كيد الشيطان تحتاج إلى قوة ومعالجه [٢٨].

وقال صاحب البرهان في متشابه القرآن : "وإنما اختار في طه "اتبــع" موافقة لقوله تعالى قبل : "يتبعون الداعي"[٢٩].

وهذا يعني أن إيثار صيغة الخماسي من هذا الفعل في آية طه ، كــان لمراعاة التناسب اللفظي في سياق الكلام.

وأما آية البقرة فقد أوثر فيه الثلاثي المجرد ، وقيل (فمن تبع هداى) ، لأن الآية وردت في سياق حكاية قصة آدم عليه السلام ، وما كان من أمر الله بأن يسكن الجنة هو وزوجته ، ويأكلا منها رغدا ، وما كان من إبليس الــذي أزلهما عنها فأخرجهما مما كانا فيه.

ولم يرد في هذا السياق مما كان من إبليس قوله تعـــالى : (فأزلـــهما الشيطان عنها)[٣٠] من غير تعرض لما كان من وسوسته وإغرائه ولا تذكـــر الكيفية في إغوائه لهما ، لهذا اقتصر في هذا السياق على الثلاثي المجرد من "تبع".

ثانيا : مراعاة روح السورة العام فى اختيار الألفاظ :

وقبل أن نبدأ فى عرض النماذج التى توضح مراعاة روح السورة العام فى اختيار الألفاظ ، ينبغى أن أذكر بأن الاستقراء الكامل فى هذا المبحث أيضا غير ميسر ، لأنه يتوقف على دراسة ألفاظ القرآن كلها • لذلك سنقتصر على تقديم نماذج توضيحية :

١- قال تعالى فى سورة التكوير : "وإذا البحار سجّرت" [٣١]

- وقال عز وجل فى سورة الانفطار : "وإذا البحار فجّرت" [٣٢]

فما وجه التناسب الذى روعى فى اختيار كل من اللفظين : "سجّرت ، فجّرت" فى كل من السورتين ؟

ذهب ابن الزبير الغرناطى إلى أن سورة التكوير إنما خصت بلفظ "سجّرت" ليناسب ما جاء معه فى سياقه من ألفاظ تتحد فى إبراز معنى الجمع والحشد والحشر • قال عز وجل : (إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت• وإذا الجبال سيرت ، وإذا العشار عطلت • وإذا الوحوش حشرت • وإذا البحار سجّرت • وإذا النفوس زوجت)[٣٣]

وقال : فتكوير الشمس ، وانكدار النجوم ، وحشر الوحوش ، وتزويج النفوس ، وتسجير البحار ، كله اجتماع وائتلاف يناسب بعضه بعضا" [٣٤]

وفسر قوله تعالى : "وإذا البحار سُجّرت" بمعنى ملئت ، من قولك : سجرت التنور : إذا ملأته حطبا • والمراد اجتماع مياهها.

وقال إن المراد بقوله عز وجل : "وإذا البحار فجّرت" فى الآية الأخرى : فتح بعضها إلى بعض ، واختلاط العذب بالمالح••

وقال : "إنما خصت سورة الإنفطار بلفظ الانفجار ، ليناسب مطلع السورة وافتتاحها ، ألا ترى فى انفجار العذب إلى المالح والمالح إلى العذب ، وبعضها إلى بعض انفطار يناسب انشقاق السماء وانفطارها"..

"فانفطار السماء ، وانفجار البحار ، وبعثرة القبور ، وانتشار النجوم ، كل ذلك متناسب أوضح تناسب وأبينه"[٣٥]

وفسر الخطيب الإسكافى "سجّرت البحار" بمعنى أوقدت فصارت نارا، كما يسجر التنور. وقال : "فكان ذكر هذا المعنى حيث وقع التوعد بتسعير الجحيم أولى وأشبه :

وذكر أن وجه التناسب فى اختيار لفظ "سجّرت "فى سورة التكوير يظهر بالنظر إلى ما تقدم من الأفعال التى جاءت بعد "إذا" ، ومن بينها : "وإذا الجحيم سعّرت . وإذا الجنة أزلفت".

ونظر فى وجه اختيار لفظ "فجّرت" فى السورة الأخرى إلى السياق ، وفسر قوله تعالى : (وإذا البحار فجّرت) بمعنى : سُيّب ماؤها وأسيح حتى فاض على وجه الأرض. وقال : "فكان هذا أولى بهذا المكان ، لأن قبلها خبرا عن الأشياء التى يحكم الله تعالى بمزايلتها أماكنها كقوله تعالى : (إذا السماء انفطرت). ومعناه انشقت. وبعده : (وإذا الكواكب انتثرت). وبعده : (وإذا البحار فجّرت). فبإزاء انتثار الكواكب انفجار البحار، فكان الإخبار عنها بهذا المعنى أولى بهذا المكان لتقدم ما يشبهها من التغيير ، ومجئ ما هو تزييل عن مكانه من بعثرة القبور[٣٦].

ويحسن أن نشير هنا إلى أن اختلافا يسيرا يوجد بين التحليلين اللذين لخصناهما من كتابى كل من الخطيب الإسكافى وابن الزبير الغرناطى ،

ومرد اختلافهما فى التوجيه والتحليل هو أن لفظ "سجر" لفظ مشترك : يفيد معنى الاشتعال ، وهو الذى أخذ به الإسكافى ، ويفيد معنى الإملاء، وهو الذى أخذ به ابن الزبير.

ويبدو أن ما ذهب إليه ابن الزبير أرجح ويؤيده أن الأفعال الأخرى التى تقدمت هذا اللفظ ، والتى تأخرت عنه تفيد معنى الجمع ، والحشد.

ومهما يكن ، فإن كلا من اللفظين جاء فى سياقه الذى يناسبه ، وفى موضعه الذى لا يقوم فيه غيره مقامه.

٢-قال تعالى فى سورة الأحزاب : "إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شئ عليما" (٣٧)

- وقال فى سورة النساء : "إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديرا(٣٨)"

فأوثر فى الآية الأولى التعبير بلفظ "شيئا" ، وأوثر فى الثانية لفظ "خيرا". واللفظ الأول" شيئا "لفظ عام ، واللفظ الثانى "خيرا" لفظ خاص. فما هو وجه التناسب فى اختيار كل من اللفظين فى موضعه من السياق الذى ورد فيه ؟

نظر ابن الزبير الغرناطى فى توجيه الاختلاف بين الآيتين فى اللفظين المذكورين إلى روح السورة وهدفها الخاص ، فأشار إلى أن قوله تعالى فى سورة الأحزاب : "إن تبدوا شيئا أو تخفوه..." مقصود به ما يعم طرفى الخير والشر ، واستدل على ذلك بما تقدمها فى سياق السورة من قوله تعالى : (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا)(٣٩) ومن ذكر المنافقين وسوء مرتكبهم فى قصة الأحزاب ، وقولهم : (ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا)(٤٠) فحذر الله المؤمنين من مرتكبات المنافقين

وأعلمهم أنه تعالى لا يخفى عليه شئ. فقال : (إن تبدوا شيئا أو تخفوه). فما قصد فى هذه الآية عموم الطرفين ، ورد بلفظ مطلق ، يعم الخير والشر. فقال تعالى : (إن تبدوا شيئا ..).

و "الشئ" يقع على كل موجود من ذات أو معنى ، حتى إن بعض المتكلمين يطلقه على المعدوم المقدر الوجود.[٤١]

أما آية سورة النساء : "إن تبدوا خيراً أو تخفوه "فمقصود بها - كما ذكر - خصوص طرف الخير ، وعمل البر ، جريا على ما دارت عليه سورة النساء وتردد فيها ، من إصلاح ذات البين ، والندب إلى العفو ، والتجاوز عن السيئات"...

وقال : "ألا ترى قوله تعالى لمقتسمى الميراث فيمن حضرهم من ذوى القربى وذوى الحاجات : (فارزقوهم منه ، وقولوا لهم قولا معروفا)[٤٢]

وقوله فى آيتى الفاحشة : (فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما)[٤٣]

وقوله فى النساء : (وعاشروهن بالمعروف)[٤٤] وقوله : (وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما)[٤٥] ، إلى أمثال هذه الآية مما يطول ذكره ولا يكثر فى غير هذه السورة ككثرته فيها. ومن هنا لم يتعرض فيها لأحكام الطلاق ، وإن كانت السورة مبنية على أحكام النساء. لكن خص من ذلك ما فيه التآلف والتصالح ، وما يرجع إلى ذلك ، ولم يرد فيها من أحكام الطلاق إلا ما أشار إليه قوله تعالى : (وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته)[٤٦] فذكر هذا القدر عند استدعاء معنى الكلام ، وتمام المقصود به إليه بأوجز لفظ ، وبما يؤنس الفريقين. ولم يذكر فيها اللعان ولا الظهار ولا الخلع ولا "طلاق الثلاث" بل ذكر فيها استصحاب العشرة إلى التوارث.

فلما كان مبنى السورة على هذا ناسب ذلك طرف الخير ، غير مشار إلى ضده إلا بالعفو عما وقع المكلف فيه. فقال تعالى : (إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء) ، فنوسب بهذا الخصوص خصوص ما تكرر في السورة بما ذكر من العفو وما يحرزه.

ونظر الخطيب الإسكافي إلى السياق القريب في توجيه اختيار "شيئا" في آية سورة الأحزاب ، فأوضح أن هذه الآية إنما خصت بهذا اللفظ ، لأن قبلها تحذيرا من إضمار مالا يحسن إضماره في قوله تعالى : "والله يعلم ما في قلوبكم" فاقتضى هذا المكان العموم. فقال عز وجل : "إن تبدوا شيئا أو تخفوه..."[٤٧]

ونظر في توجيه اختيار لفظ "الخير" في آية سورة النساء إلى السياق القريب ، فأشار إلى أن هذه الآية إنما خصت بلفظ "الخير" لأنه بإزاء "السوء" الوارد في قوله تعالى قبلها : (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم..)[٤٨]. فاقتضت المقابلة في هذا المكان أن يجعل بأزاء "السوء" "الخير"[٤٩]

يتضح من هذين التوجيهين أن الكلمة القرآنية تختار بدقة متناهية، وتوضع في موضعها من الآية بإحكام تام ، يجمع لها بين مناسبة السياق القريب ، ومناسبة السياق البعيد ، وليس هناك أي تعارض بين ما ذهب إليه كل من الخطيب الإسكافي وابن الزبير الغرناطي في توجيههما. بل إن كل واحد منهما يكمل الآخر ، لأن الكلمة القرآنية تجمع بين هذين الوجهين من التناسب – كما مر ذكره –.

٣-قال تعالى في سورة عبس : "فإذا جاءت الصاخة"[٥٠]

- وقال فى سورة النازعات : "فإذا جاءت الطامة الكبرى[٥١]".

فسمى قيام الساعة ، وهى نهاية هذا العالم ، باسم "الصاخة" فى الآية الأولى ، وباسم "الطامة" فى الثانية.

وقبل أن نورد ما قيل فى توجيه ذلك يجب أن نشير إلى أن الشئ الواحد أو المعنى الواحد قد يعبر عنه فى العربية بعدة أسماء ، كما يوصف بعدة أوصاف ، وذلك لأن الاعتبارات التى ينظر إليها فى التسمية والوصف تختلف ، و "وضعية الخطاب" و "مقتضى الحال" هو الذى يعين ما يناسب كل مقام من تلك الأسماء.

ومن أقرب الأمثلة على ذلك أن قيام الساعة سمى فى القرآن بأسماء متعددة منها : الساعة ، والقارعة ، والحاقة ، والواقعة ، والطامة ، والقيامة، والآزفة ، والغاشية ، والصاخة... واستعمل كل منها فى المكان الذى يناسبه.

أما لفظ "الصاخة" فقد قيل : إنها صيحة تطعن الآذان وتصمها... وهى صيحة شديدة لشدة صوتها ، يحيا بها الناس كالصيحة الشديدة التى ينبه بها النوام.

وإنما خصت سورة "عبس وتولى" بهذا اللفظ لأنها لم تُبن على التخويف الشديد. وإنما بنيت على قصة عبد الله بن أم مكتوم ، وذلك مشهور. ثم ورد قوله عز وجل : "فإذا جاءت الصاخة" عقب التذكير بقوله : "إنها تذكرة" ، والتحريك للاعتبار بقوله : " فلينظر الإنسان إلى طعامه" ... إلى قوله : "متاعاً لكم ولأنعامكم" ثم أتبع ذكر الصاخة بقوله : "وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة".

وأما وجه التناسب في ورود لفظ "الطامة" في سورة النازعات ، فهو أنها تضمنت ذكر ما أتى به فرعون من الطامة الكبرى في الكفر حيث قال : "أنا ربكم الأعلى" فهذه في الكبائر كشدة الآخرة في الشدائد ، فكأنه قرن إلى ذكر الكبيرة الموفية على أمثالها ذكر الطامة الكبرى.(٥٢)

فقد قيل إن لفظ "الطامة" يستعمل في الشديدة التي تنسى عندها الشدائد، فتطم على ما تقدمها ، أي تستره وتغطيه ، والقيامة هي الطامة الكبرى ، لأنها تنسى ما تقدم من شدائد الدنيا.

ونظر ابن الزبير في بيان وجه التناسب في ذلك إلى مقصود سورة النازعات وروحها الخاص ، فأوضح أن لفظ "الطامة" لما كان أبلغ في الإشارة إلى أهوال القيامة ، خص به أبلغ السورتين في التخويف والإنذار ، وقال :"وعلى ذلك بنيت سورة النازعات. ألا ترى قوله تعالى : (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) ، ووصف الطامة الكبرى وما أتبع به بعد ، وابتداء السورة وختامها. فكلها تخويف وترهيب ، فناسبها أشد العبارتين موقعا أرهبهما(٥٣).

فسورة "النازعات" على الجملة أشد في التخويف والترهيب ، فناسبها أبلغ العبارتين من أسماء القيامة في التخويف والإنذار بحالها. وليست سورة عبس كسورة النازعات في التخويف ، فناسبها إيراد إسم القيامة بـ "الصاخة" .. فجاء كل على ما يناسب(٥٤).

٤-قال عز وجل في سورة المزمل : "ربّ المشرق والمغرب ، لا إله إلا هو(٥٥)".

- وقال في سورة الرحمن : "ربّ المشرقين وربّ المغربين(٥٦)".

- وقال فى سورة المعارج : "فلا أقسم برب المشارق والمغارب[٥٧]"

هذا النموذج يتعلق بإبراز وجه التناسب فى استعمال صيغة الإفراد والتثنية والجمع من لفظ واحد ، وصلته بروح السورة وأسلوبها وموضوعها.

أما ورود لفظى المشرق والمغرب بصيغة الإفراد فى سورة المزمل ، فلأن هذه الصيغة هى التى تناسب السياق. وبيان ذلك أن الله تعالى أمر رسوله - صلى - فى مطلع السورة بقيام الليل ، ثم أخبر أن له فى النهار سبحاً طويلا ، فلما تقدم ذكر الليل والنهار ، عقب ذلك بذكر المشرق والمغرب اللذين هما مظهرا الليل والنهار. فكان الإفراد فى هذا السياق أنسب من التثنية والجمع.

أما وجه اختصاص سورة الرحمن بصيغة المثنى فيرجع إلى وجه لطيف من أوجه التناسب ، وهو أن هذه السورة بنيت على ذكر المثانى والمزدوجات : فذكر فيها أولا نوعى الإيجاد ، وهما الخلق والتعليم ، ثم ذكر سراجى العالم ومظهرى نوره ، وهما الشمس والقمر ، ثم ذكر نوعى النبات : النجم والشجر ، ثم ذكر السماء المرفوعة ، والأرض الموضوعة ، ثم ذكر العدل والظلم فى الميزان ... ثم ذكر خلق نوعى المكلفين ، وهما الإنس والجان ، ثم ذكر المشرقين والمغربين ، ثم ذكر بعد ذلك البحرين : الملح والعذب ، فتأمل مناسبة تثنية المشرق والمغرب فى هذا ، وحسن ائتلاف هذين اللفظين مع ما يكتنفهما من المزدوجات[٥٨].

ولا يكفى فى فهم أسرار النظم القرآنى ما نراه عند المفسرين من الخلاف فى تعيين المراد بالمشرقين والمغربين فى هذه السورة. فقد قيل : المراد بالمشرقين والمغربين ، مشرقا الشمس صيفا وشتاء ، ومغرباها ..

وقيل المشرقان : مشرق الفجر ومشرق الشفق ، والمغربان مغرب الشمس ومغرب الشفق ... وقيل غير ذلك[٥٩].

وإنما أتى المفسرون من جهة تعلقهم بالمفردات ودلالتها الحسية ، ومن إهمال وحدة السورة والروح العام التى تربط بين مفرداتها وآياتها..

واستقراء سورة الرحمن يظهر أن التثنية هى القوة التى تهيمن على أسلوب التعبير فيها ، تكثر فيها الأسماء المثناة بالألف والنون ، وبالياء والنون: المشرقين والمغربين ، البحرين ، الثقلان ، جنتان ، عيان ، زوجان، وتكثر فيها التثنية بالواو : الشمس والقمر ، النجم والشجر ، اللؤلؤ والمرجان، الجن والإنس ، نار ونحاس ، والنواصى والأقدام ، والياقوت والمرجان.

واستقراء هذه الأمثلة يعين على إدراك الروح العام الذى يسرى فى أسلوب السورة ، ويسهل تحليل طرق التعبير فيها ، والكشف عن أوجه التناسب التى تربط بينها.

وأما مجيئهما بصيغتى الجمع فى سورة المعارج فلأنهما وردا فى سياق بيان سعة ربوبية الله تعالى ، وإحاطة قدرته ... وذكر المشارق والمغارب لتضمنهما انتقال الشمس التى هى إحدى آياته - سبحانه - العظيمة. ونقله - تعالى - لها ، وتصريفها كل يوم فى مشرق ومغرب مظهر من مظاهر القدرة المطلقة وسعة الربوبية.

وأيضا فإن تأثير مشارق الشمس ومغاربها فى اختلاف أحوال النبات والحيوان أمر مشهور ، وفى ذلك بيان أن من قدر على هذا ، قادر على أن يبدل المخاطبين خيرا منهم ، وما هو بمسبوق قال تعالى : (فلا اقسم برب

المشارق والمغارب إنّا لقادرون علـــى أن نبـــدل خـــيراً منـــهم ومـــا نحـــن بمسبوقين).[٦٠]

٥-قال تعالى فى سورة طه : "وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا"[٦١]

- وقال فى سورة الرعد : "وكذلك أنزلناه حكما عربيا[٦٢] "فسمى كتـــاب الله فى الآية الأولى" قرآنا" ، وسماه فى الثانية" حكما". والمراد بالمنزل فـــى الموضعين واحد ، وهو القرآن الكريم ثم اختلفـــت العبـــارة عنـــه فـــى السورتين.

أما قوله تعالى فى سورة طه : (وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا). فقد ورد فى سياق ، تقدمه عرض قصة موسى عليه السلام ، وما كان من فتنة قومـــه بعده بفعل السامرى ، وما كان من تذكير هـــارون عليـــه الســـلام لـــهم ٠٠ واستمرت القصة إلى قوله تعالى : (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد ســـبق ، وقد آتيناك من لدنا ذكرا). والمراد به القرآن. ثم أتبع هذا بما يلائمه إلى قوله تعالى : (وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا) أى قصصا مقروءا بلسان العرب. فناسب كلا من العبارتين موضعه أتم مناسبة[٦٣].

وفسر ابن الزبير الغرناطى قوله عز وجل : "حكما عربيا" بمعنى حكم الله وقضائه فى خلقه. وقد بحث فى سياق السورة عما يناسب هذا المعنـــى ، فرأى - على ما ذهب إليه - أن المتقدم فيها إنما هو تفاصيل أحكام مرجعـــها بجملتها إلى اختلاف أحوال المكلفين جريا على ما سبق من قضاء الله فيـــهم ، وتفصيل أحوالهم بحسب ما قدره سبحانه فى أزله ، وما حكم به عليـــهم ٠٠ إلى أن قال : "ودارت الآي بعد هذا على أن كل جار فى خلقه ، فبتقديـــره ،

وتناسب ذلك إلى قوله : (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) . وكل ما تقـــدم فـــهو حكمه السابق فى خلقه.[٦٤]

والتدبر فى سورة الرعد يهدى إلى معرفة التناسب فى ما تختص بـــه. وهو أنها تتجه بآياتها ومعانيها وكلماتها إلى عرض آيات الحكمة الإلهية فـــى مجالات كثيرة وآفاق واسعة : تعرض الكون فى شتى آفاقه : فى الســـموات المرفوعة بغير عمد ، وفى الشمس والقمر ، كل يجرى لأجل مسمى ، وفـــى الليل يغشاه النهار ، وفى الأرض الممدودة ، وما فيـــها مـــن رواس ثابتـــة ، وأنهار جارية ، وجنات وزروع ونخيل مختلف الأشكال والألوان والطعـــوم ، ينبت فى قطع من الأرض متجاورات ويسقى بماء واحد ، وفى البرق يخيـــف ويطمع ، والرعد يسبح ويحمد.

هذا عن الإطار العام الذى تعرض فيه قضايا السورة وموضوعاتـــها وهو إطار ذو طبيعة خاصة ، إنه إطار المشاهد الطبيعية المتقابلة التى تتجلـــى فيها دلائل حكمة الله ، وآيات تقديره وتدبيره.

وفى هذا السياق يرد ذكر القرآن ، لأن نزوله لم يكن إلا طرفا مـــن تلك الحكمة الإلهية ، ومن ثم كانت تسميته بالإسم المشتق من الحكمة أنســـب لروح السورة وموضوعها.

ثالثا : مراعاة التناسب وائتلاف نظم الكلام فى القراءات :

مما يتصل بمراعاة السياق اختلاف القراء فى بعض ألفاظ القـــرآن ، واختيار بعضهم القراءة بصيغة ، واختيار الآخرين القـــراءة بغيرهـــا. وقـــد أوضح العلماء فى توجيه القراءات والاحتجاج لها أن بعـــض أئمـــة القـــراء نظروا فيما اختاروا إلى التناسب والإئتلاف فى نظم الكلام.

١- فاختلفوا فى قوله تعالى : (لا تظلمون ولا تظلمون).[٦٥] فقرأوا كلهم الأولى بفتح التاء والثانية بضمها. وروى عن عاصم أنه قرأ الأولى بضم التاء والثانية بفتحها. قال أبو على الفارسى : "يرجع تقديم" لا تظلمون" بفتح التاء بأنه أشكل بما قبله ، لأن الفعل الذى قبله مسند إلى فاعل ، وهو قوله : (وإن تبتم فلكم) ف "تظلمون" أشكل بما قبله لإسناد الفعل فيه إلى فاعل"[٦٦]

٢- واختلفوا فى قوله تعالى : (كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله)[٦٧] ، فقرأ حمزة والكسائى "وكتابه" بصيغة الإفراد ، وقرأ باقى السبعة "وكتبه" بصيغة الجمع. وحجة هؤلاء ما تقدم وما تأخر فى سياق الكلام : ما تقدم ذكر بلفظ الجمع ، وهو قوله تعالى " (كل آمن بالله وملائكته). وما تأخر ذكر بلفظ الجمع أيضا ، وهو قوله تعالى : (ورسله) فكذلك قرأوا (كتبه) بالجمع ، ليأتلف الكلام على نظام واحدة.[٦٨]

قال أبو على الفارسى : "والإسمان اللذان أحدهما قبله والآخر بعده (يعنى بعد "كتبه") مجموعان. فهذا يقوى الجمع ، ليكون الكلام مشاكلا لما قبله وما بعده[٦٩].

٣-واختلفوا فى ضم التاء ورفع اللام وفتحها وجزمها من قوله تعالى : (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم)[٧٠]. فقرأ نافع وحده : "ولا تسأل" مفتوحة التاء ، مجزومة اللام..

وقرأ الباقون من السبعة : "ولا تسأل" مضمومة التاء مرفوعة اللام. قال أبو على الفارسى : "وحجة من قرأ بالرفع على الإخبار لا على النهى أن الكلام قبله وبعده خبر ، فإذا كان أشكل بما قبله وما بعده كان أولى"[٧١]

٤- اختلفوا فى قوله تعالى : (بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل)[٧٢]

فقرأ عاصم وحمزة والكسائى. (وصدوا عن السبيل) بضم الصاد. قال ابن زنجلة : وحجتهم أن الكلام أتى عقيب الخبر من الله بلفظ ما لم يسم فاعله وهو قوله تعالى : (بل زين). فجرى الكلام بعده بترك تسمية الفاعل ليأتلف الكلام على نظام واحد[٧٣].

٥- واختلفوا فى قوله تعالى : (وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار)[٧٤]. فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو "الكافر" بالافراد. وقرأ باقى السبعة "الكفار" بالجمع. وحجة من قرأ بالجمع أن الكلام أتى عقيب قوله تعالى : (وقد مكر الذين من قبلهم) ، فقرأوا : (وسيعلم الكفار) بلفظ ما تقدمه ، ليأتلف الكلام على سياق واحد[٧٥].

٦- واختلفوا فى قوله تعالى : (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب)[٧٦].

فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو : "تعلمون" بإسكان العين ، وفتح اللام مخففا. وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى : "تعلمون" مثقلا.

قال مكى بن أبى طالب : "وحجة من خفف أنه حمله على ما بعده من قوله تعالى : "تدرسون" مخففا ، ولم يقل تدرسون ، فحمل الفعلين على معنى واحد أليق وأحسن فى المطابقة والمجانسة[٧٧].

٧- واختلفوا فى قوله تعالى : (تصلى نارا حامية)[٧٨]. فقرأ أبو عمرو وأبو بكر : (تصلى نارا) ، بضم التاء. قال ابن زنجلة : وحجتهما ذكرها اليزيدى فقال : لقوله بعدها : (تسقى من عين أنية) فجعل اليزيدى

"نصنى" بلفظ ما بعده إذ أتى فى سياقه ، ليأتلف الكلام على نظام واحد.[٧٩]

٨- واختلفوا فى قوله تعالى : (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس ، تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً)[٨٠]
فقرأ ابن كثير وأبو عمرو "يجعلونه" بالياء ، وقرأ باقى السبعة بالتاء. قال أبو عبيد : التاء تختار للمخاطبة قبلها وبعدها. فالتى قبلها قوله تعالى: (قل) والتى بعدها قوله : (وعُلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم). فكان قراءتهم ما توسط بين الخطابين من الكلام على لفظ ما قبله وما بعده ، ليأتلف نظام الكلام على سياق واحد أولى[٨١].
وقد أوضح أبو على الفارسى القاعدة الأسلوبية العامة فى اختيار القراءة بضمير الخطاب أو الغيبة فقال : " القول فى جملة ذلك أن ما كان قبله خطاب جعل بالتاء ، ليكون الخطاب معطوفاً على خطاب ، كقوله تعالى : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة٠٠٠ وما الله بغافل عما تعلمون)[٨٢].
فالتاء فى "تعملون" أحسن ، لأن المتقدم خطاب. وإن كان الذى قبله غيبة حسن أن يجعل على لفظ الغيبة ، ليعطف ما للغيبة على مثله ، كما عطف ما للخطاب على مثله[٨٣].

٩-واختلفوا فى قوله تعالى : (وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا)[٨٤]. فقرأ عاصم وحمزة والكسائى : "كلمة ربك" على الإفراد ، وقرأ الباقون من السبعة : "كلمات ربك ؛ على الجمع. وحجة الذين قرأوا بالجمع أنها مكتوبة بالتاء ، فدل ذلك على الجمع ٠٠٠ وحجة أخرى ، وهى أن "الكلمات" التى جاءت بعدها ، وردت بلفظ الجمع ، فقال تعالى :

(لا مبدل لكلماته) ، وفيها إجماع. فكان الجمع فى الأولى أشبه بالصواب، للتوفيق بينهما إذا كانا بمعنى واحد [٨٥].

تلك جملة من الأمثلة التى توضح أن من أئمة القراء من يراعى فى اختياره وحدة النسق وائتلاف الكلام على نظام واحد ، وقد عرضنا فى هذه الأمثلة ، مما يتعلق بمراعاة تناسب الألفاظ فى السياق الواحد ، قراءة بعض القراء أفعالا على البناء للمعلوم أو المجهول ، وقراءتهم أفعالا أخرى بضمير الغيبة أو الخطاب ، وقراءة أسماء بالإفراد أو الجمع. ورأينا فيما عرضناه أيضا من احتجاج العلماء لتلك القراءات ، أن مراعاة التناسب اللفظى فى نسق الكلام كان من أسس الاختيار فى القراءات. ولو تتبعنا اختلافات القراء المتعلقة بأبنية الألفاظ لوجدنا أن الكثير منها - عند بعضهم - يرجع إلى هذا الأساس.

المبحث الثانى

التناسب فى وحدة النسق واختيار التراكيب فى النظم القرآنى

علمنا فى المبحث السابق كيف يراعى القرآن الكريم أوجها دقيقة من التناسب فى اختيار الألفاظ المفردة ، وسنعرض الآن بعض أسرار التناسب التى يراعيها فى اختيار التراكيب.

وفى بداية الحديث عن هذا الجانب ، يحسن بنا أن نقدم لمحة موجزة عن نظام تركيب الجملة فى اللغة العربية وما يمتاز به من المرونة.

- نظام تركيب الجملة فى العربية ومرونته :

من المبادئ الأولى فى نظام تركيب الجملة فى اللغة العربية أن لكل عنصر رتبته الخاصة ، يحتفظ بها فى جميع الأحوال ، ولو تغير نظام تركيب الجملة ، فالجملة الإسمية تتبنى على هذا المنوال :

مبتدأ + خبر + قيد

والجملة الفعلية تتبنى على النظام الآتى :

فعل + فاعل + مفعول + قيد

غير أن هذا النظام يتمتع بكثير من المرونة ، فيتغير ترتيب العناصر ، حين يعرض من الأغراض التعبيرية والمعنوية ما يستدعى التغيير ، فيتأخر منها ما كانت رتبته التقديم ، ويتقدم ما كانت رتبته التأخير ، ويحذف عنصر منها فى حال ، ويزاد فى حال أخرى.

ودرس العلماء هذا النظام وعرّفوا ببعض الوظائف المعنوية والجمالية التى يؤديها اختلاف أحوال تركيب الجملة ، وأوضحوا ما يمتاز به من المرونة.

وقد بدأ البحث فى أحوال تركيب الجملة القرآنية منذ وقت مبكر على يد مجموعة من علماء القرن الثالث الهجرى الذين عنوا بالتأليف فى معانى القرآن وأساليبه ، كأبى عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٣هـ) ، وأبى زكريا يحي بن زياد المعروف بالفراء (ت٢٠٧هـ) ، وأبى عمرو الجاحظ (ت٢٥٥ هـ) ، وابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ).

فدرسوا كثيرا من الأساليب التى تتعلق بتركيب الجملة القرآنية ، كالتقديم والتأخير ، والإفراد والجمع ، والحقيقة والمجاز.

ومن أشهر الذين عنوا بدراسة هذه المباحث أحمد بن فارس فى كتابه "الصاحبى" ضمن سنن العربية [١] ، وتناولها عثمان بن جنى فى كتابه "الخصائص" فى باب "شجاعة العربية"[٢].

وقد عنى عبد القاهر الجرجانى بدراسة أحوال التراكيب ودلالتها ووظائفها البيانية فجعل ما أسماه بالمعانى النحوية ، والفروق المعنوية بين التراكيب ، من دلائل الإعجاز ، وذهب إلى أن فضيلة الكلام وفصاحته مردها إلى خصائص التراكيب ، وإلى وضع كل عنصر من عناصر الجملة فى الموضع الذى يناسب مقتضى الحال ، وتقتضيه صورة المعنى فى النفس. وفى كتابة "دلائل الإعجاز" فصول كبيرة تناول فيها وظائف التقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف والزيادة.

ويوضح لنا ابن خلدون رأيه فى قيمة أحوال التراكيب فى اللغة العربية وميزتها على اللغات الأخرى بقوله : "وكل معنى لا بد أن تكتنفه أحوال تخصة فيجب أن تعتبر تلك الأحوال فى تأدية المقصود ، لأنها صفاته، وتلك الأحوال فى جميع الألسن ، أكثر ما يدل عليها بألفاظ تخصها بالوضع. وأما اللسان العربى ، فإنما يدل عليها بكيفيات فى تراكيب الألفاظ وتأليفها من

تقديم وتأخير أو حذف أو حركة إعراب ، وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة ، ولذلك تفاوتت طبقات الكلام فى اللسان العربى بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات ، كما قدمنا. فكان الكلام العربى لذلك أوجز ، وأقل ألفاظا وعبارة من جميع الألسن ، وهذا معنى قوله عليه السلام : "أوتيت جوامع الكلم ، واختصر لى الكلام اختصارا"[٣]

تلك لمحة موجزة عن نظام الجملة وقيمة أحوال تركيبها فى اللسان العربى من حيث أداء المعانى وما يكتنفها من أحوال تخصها.

وإلى جانب هذه الوظيفة المعنوية ، هناك وظائف أخرى جمالية ، تراعى فى اختيار التراكيب اللغوية ، منها ما يتصل بوحدة نسق الكلام وانتظامه فى سياق واحد. ومنها ما يتصل بتناسب الكلام الموزون أو المسجوع والمزدوج ، كتناسب فواصل الآيات فى القرآن.

والوظائف الجمالية والمعنوية التى تؤديها التراكيب فى نسق الكلام لا تتعارض ، بل أن التوفيق بينها من أحسن صفات الكلام البليغ ، والبلغاء من البشر قد ينجحون فى التوفيق بينها وقد لا ينجحون ، ويوفقون إلى ذلك فى بعض كلامهم ويجانبهم التوفيق فى بعض.

أما القرآن العظيم فإنه فى كل ما تناول من المعانى والأغراض ، يجمع فى اختيار التراكيب بين الوظيفتين ، فلا يجور فيه اللفظ على حق المعنى ، ولا المعنى على حق اللفظ.

ولا يتسع المجال فى هذا المبحث لدراسة كل أحوال تركيب الجملة القرآنية وبحث صلتها بالتناسب المعنوى وانتظام نسق الكلام.

ولذا يكفينا أن ندرس من تلك الأحوال الحذف والذكر ، والتقديم والتأخير ، على أن يكون اهتمامنا منصبا على الصلة بين هذه الأساليب وبين التناسب فى النظم القرآنى.

أولا : الحذف والذكر والتناسب فى النظم القرآنى :

من أهم أحوال التركيب اللغوى التى تتصل بالتناسب فى النظم القرآنى أسلوب الحذف والذكر. فالحذف ظاهرة أسلوبية بارزة فى الكلام العربى ، تناولها العلماء ، ونوهوا بقيمتها البيانية. قال ابن جنى : "وقد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة[٤]" ، وجعل أسلوب الحذف على رأس المباحث اللغوية التى تناولها تحت عنوان : "شجاعة العربية" ، وقال فى صدر حديثه عن هذا الباب : "أعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى ، والتحريف"[٥].

وقال سيبويه : "والحذف فى كلامهم كثير ، إذا كان فى الكلام ما يدل عليه[٦] "ويشغل باب الحذف حيزا كبيرا فى الدراسات التى تناولت أساليب القرآن. وذكر العلماء أن مما كثر حذفه فى القرآن "المضاف" ، أوضح ابن جنى أنه وقع حذفه فى القرآن فى ما يقرب من ألف موضع[٧] وذكر الزركشى حذفه فى القرآن فقال : "هو كثير"[٨]. وتتبع العز بن عبد السلام مواضع حذفه ، فعرض الآيات القرآنية التى وقع فيها حذفه حسب ترتيب السور فى المصحف[٩].

وحظى أسلوب الحذف بحظ وافر من عناية البلاغيين وعلماء الدراسات القرآنية ، وجملة ما يستفاد من دراساتهم أن الحذف شكل من

أشكال القدرة البيانية ، تسمو به العبارة عن الاسفاف ، ويتسع مجالها الدلالى، وتكثر إيحاءاتها.

وقال حازم القرطاجنى موضحا سر بلاغة الحذف فى قوله عز وجل: (وسيق الذين اتقو ربهم إلى الجنة زمرا ، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم..(١٠)"

فحذف الجواب إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى ، فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه ، وتركت النفوس تقدر ما شأنه ، ولا يبلغ مع ذلك كنه ما هنالك ، لقوله عليه السلام : "فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر"(١١).

وذكر أبو الحسن الرمانى ما فى حذف جواب الشرط من بلاغة فى هذه الآية ، وأشار إلى العلة فى بلاغة حذف جواب "إذا" ، فقال : "وإنما صار الحذف فى مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب ، ولو ذكر الجواب لقصر على الذى تضمنه الجواب"(١٢).

أما عبد القاهر الجرجانى فنراه ينوه بقيمة أسلوب الحذف ، فيقول : "هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر.

فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد فى الإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تبن(١٣) "ومجمل أغراض الحذف حسبما ذكره البلاغيون :

١- طلب الإيجاز والاختصار.

٢- زيادة اللذة باستنباط المعنى المحذوف.

٣- التفخيم والتعظيم.

٤- التسجيع.

وسنحاول أن نوضح من خلال أمثلة من هذه الآيات كيف يختار الحذف مراعاة لما يناسب السياق حينا ، وتختار الزيادة مراعاة لذلك حينا آخر.

١-قال عز وجل فى سورة السجدة : (أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم)[١٤]. فقيل هنا "من قبلهم" ومثله فى سورة الأنعام[١٥] . وفى سورة ص[١٦].

وسائر ما ورد فى القرآن من مثل ذلك ورد بحذف "من" كقوله عز وجل فى سورة طه : "أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم[١٧]. ومثله فى سورة مريم[١٨] ، وفى سورة يس[١٩].

وتمهيدا لبيان وجه التناسب فى زيادة هذا الحرف وحذفه ، نشير إلى أنه إنما يزاد حيث يراد تأكيد ما تضمنت الآيات من الوعيد ، وهو أبدا فى مثل هذه المواضع ، يفيد معنى التأكيد ، ولا ينفك عن ذلك . ثم إن حذفه أوجز من إثباته. ولكل مقام مقال . فيحثما ورد فى سياق تفصيل وعيد وتكرر قبله الترهيب والتخويف ، فذلك موضع زيادته ، والتأكيد بإثباته ، وحيث لا يتقدم تفصيل الوعيد ، أو تكون آيات الترهيب لا تبلغ درجة الاستيفاء فهذا موضع حذفه.

وبتطبيق هذه القاعدة على الآيات التى زيد فيها هذا الحرف يتبين وجه التناسب.

فأما آية سورة السجدة ففيها من الشدة والاشارة إلى إنفاذ الوعيد قوله تعالى : (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها[٢٠] "ثم قال فى آخر

السوره : "فأعرض عنهم وانتظر ، إنهم منتظرون[٢١]" .فناسب الآية الواقعة بين هذين الوعيدين الشديدين زيادة "من" لإفادة التأكيد الذى بنى عليه سياق الآيات.

ومثل هذا فى الشدة آية سورة الأنعام ، فقد تقدمها قوله تعالى : (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين[٢٢].

وقوله : "فقد كذبوا بالحق لما جاءهم ، فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون[٢٣]". وهذا تسجيل ببقائهم على الإعراض وإنفاذ الوعيد فيهم ، ولا أشد من هذا ونحوه.

وأما آية سورة ص فيكفى من شدة التخويف واستيفاء الوعيد ما تضمنته من أولها إلى قوله تعالى : (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق)[٢٤].

فلعظيم ما ورد فى هذه السورة من مرتكبات كفار قريش وغيرهم ، وقع التأكيد بـ "من" فى قوله تعالى : (كم أهلكنا من قبلهم من قرن)[٢٥].

أما الآيات التى حذف منها هذا الحرف فلم يرد فيما اتصل بها من الآيات ما ورد فى المواضع الأخرى من تكرار التهديد ، والتغليظ فى الوعيد.

فإذا تأملنا قوله عز وجل فى سورة مريم " "كم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا[٢٦]" لم نجد فيها ولا ما انتظم معها فى سياقها ، متقدما أو متأخرا ، ما يوازن فى التهديد واحدة من تلك الآيات السابقة.

وأما آية سورة "يس" فأوضح فيما ذكر ... وإنما حاصله وحاصل ما انتظم معها تحريك المخاطبين للاعتبار ، وتذكيرهم بالآلاء والنعم.

وأما آية "طه" فأوضح فى الإيحاء بالرجاء ، هى وما انتظم معـــها ، يوضح ذلك افتتاحها بقوله عز وجل : (أفم يهد لهم) ، إلى قوله : (إن فى ذلك لآية لأولى النهى)[٢٧] . من عظيم الحلم ، وجليل الرفق.[٢٨]

٢- قال عز وجل فى سورة الحج : (ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفـــى ومنكم من يرد إلى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا)[٢٩].

وقال فى سورة النحل : (والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلـــى أرذل العمر لكى لا يعلم بعد علم شيئا ، إن الله عليم قدير)[٣٠].

فقيل فى الآية الأولى : "من بعد علم" بزيادة" من" ، وقيل فى الثانيـــة "بعد علم" بحذف" من".

ووجه زيادته أن الآية وردت فى سياق تكرر فيه هذا الحرف. قـــال عز وجل : (يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ، ونقر فـــى الأرحم ما نشاء إلى أجل مسمى)[٣١].

فقد تكررت لفظة "من" فى هذه الآية فى ستة مواضع : الخمسة منـــها قبل قوله : (من بعد علم) والواحدة بعدها ، وكلها أفادت معناها الذى جئ بـــها من أجله إلا التى فى قوله : (من بعد علم) إذ النظم مع ســـقوطها ملتئـــم ، والمعنى تام ، فاستوى وجودها وعدمها ، فاستدعاها سياق الآية للتناسب فـــى النظم[٣٢]. ولم يكن فى آية النحل داع يستدعيها من المعنى ولا من التناســـب فى النظم ، فحذفت.

٣-قال عز وجل فى سورة الحديد : (سابقوا إلى مغفرة من ربكـــم وجنـــة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله)[٣٣].

وقال فى سورة آل عمران : (سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)[٣٤].

والمراد فى الموضعين الحث على المبادرة إلى أفعال الخير والبر وجزيل الثواب • واختلفت العبارة ، فحذف المضاف فى الآية الثانية فقيل : "عرضها السموات والأرض" ، وجئ فى الأولى بكاف التشبيه عوضا منه فقيل : "عرضها كعرض السماء والأرض".

وحذف المضاف يكون كثيرا عند قصد المبالغة ، وكذا جعل الشئ نفس الشئ • وهذا كثير ، ومنه قولهم : نهارك صائم ، وليلك قائم ، وباب ذلك مما يقصد به المبالغة فيجعل نفس الشئ.

وقوله عز وجل : (عرضها السموات والأرض) يمكن إلحاقه بهذا الأسلوب • وقد اتصل بها ما يدل على القصد إلى المبالغة ، ومن ذلك جملة "عرضها السموات" : فـ "عرضها" : مبتدأ ، والسموات : خبر عنه • وكون الخبر جمعا أفاد ما ذكر من قصد المبالغة هنا . ثم ورد بعد ذلك ما يؤكد إرادة المبالغة ، وهو قوله تعالى : (أعدت للمتقين) فوصف من أعدت لهم الجنة ووسمهم بالمتقين ، وهم الذين وفوا بالإيمان وتوابعه التى يكمل بها.

فلما تضمنت آية آل عمران من قصد المبالغة ما دلت عليه القرائن المذكورة ، ناسب ذلك حذف المضاف وجعل العرض نفس السموات والأرض.

ولما لم يقصد فى آية سورة الحديد ما ذكر من المبالغة . فصح بما يفيد معنى "مثل" ، وهو كاف التشبيه • وأفرد لفظ السماء واقتصر فى صفة من أعدت لهم الجنة على صفة الإيمان ، فتناسب كل ذلك فى سياقه.

٤-قال عز وجل : (وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين • رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ، وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون)[٣٥].

وقال بعده : (إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ، وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون)[٣٦].

فجاء فى الآية الأولى قوله : (وطبع على قلوبهم) ببناء الفعل للمفعول مكتفى به عن الفاعل ، وفى الآية الثانية : (وطبع الله) ببناء الفعل للفاعل على الأصل.

أما الآية الأولى فقد بنى الفعل فيها للمفعول ، لأن مطلع الآية قبلها ، وهو قوله تعالى : (وإذا أنزلت سورة) ، على بناء الفعل للمفعول ، فجاء قوله : (وطبع على قلوبهم) على ذلك أيضا ، ليناسب ختام هذه الآية ما بدئت به الآية قبلها.

وأما الآية الثانية فلم يقع فى سياقها ما يستدعى بناء الفعل للمفعول ، فذكر الفاعل فيها جريا على الأصل.

٥-وقال عز وجل فى سورة الحج : "وأحلت لكم الأنعام"[٣٧].

وقال فى سورة المائدة : "أحلت لكم بهيمة الأنعام"[٣٨].

فخصت الآية الثانية بزيادة لفظ "بهيمة" وخصت الآية الأولى بحذفه.

والأنعام هى الأصناف التى ذكرت فى سورة الأنعام : (ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين) ، و (من الإبل اثنين ومن البقر اثنين)[٣٩].

وإذا عرف أن الأنعام هى الأزواج الثمانية ، فمن المعلوم أن غيرهـا من الوحشى الذى لا يدرك إلا بالصيد محرم على الحاج ما دام فى عملـه. قال تعالى : (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما)[٤٠].

ولما كانت آية سورة الحج متعلقة بما أمر به الحاج ، وصل بها ذكـر ما يحل أكل لحمه للمحرم حال إحرامه ، قال تعالى : (وأحلت لكم الأنعام).

وأما قوله : (بهيمة الأنعام) ، فى سورة المائدة ، فالمراد به الوحشـى يقول القرطبى : "بهيمة الأنعام" "وحشيها"[٤١].

ووجه زيادة هذا اللفظ - بهيمة - فى هذه السورة أنها من آخر ما نزل من القرآن ، وقد تضمنت متممات من الأحكام ، كآيـة الوضـوء والتيمـم وتفاصيل الصيد ، واستيفاء المحرمات من المأكولات والمشـروبات وفيـها ورد: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكـم الإسـلام دينا)[٤٢]. فناسب هذا ذكر حلية بهيمة الأنعام ، إلحاقا لها بالأنعـام ، إذ لـم يذكره الله فى غيرها . وبهذا يتضح وجه التناسب مـا وقـع مـن الزيـادة والحذف فى كل من الآيتين.

٦-وقال تعالى فى سورة النحل : "فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئـس مثوى المتكبرين"[٤٣].

وفى غيرها "فبئس مثوى المتكبرين"[٤٤] بإسقاط اللام.

أما آية النحل فقد زيد فيها اللام رعاية لما يناسب السياق. وبيان ذلـك أن الآية جاءت بعد ثمان آيات فى ذكر هؤلاء المقول لهم : (ادخلـوا أبـواب جهنم) ، وتلك إطالة فى ذكرهم ، والإطالة يناسبها التأكيد باللام المشيرة إلـى معنى القسم ، والإيجاز يناسبه سقوطها.

- الحذف لدلالة التناسب عليه :

هناك نوع من الحذف يعتمد على دليل التناسب ، يسميه بعض العلماء بالاكتفاء بالمقابل أو الحذف المقابلى.

وهو قول مركب من أجزاء فيه متناسبة ، نسبة الأول منهما إلى الثالث ، كنسبة الثانى إلى الرابع ، أو ما كانت النسبة فيه كنحو ذلك ، فاجتزئ من كل متناسبين بأحدهما لقطع الدلالة مما ذكر على ما ترك(٤٥).

وبتعبير آخر "هو أن يجتمع فى الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما مقابله ، لدلالة الآخر عليه(٤٦)".

وهذا يعنى أن يكتفى فى الأشياء المتناسبة بذكر الطرفين ، ويحذف الوسطان ، فيكتفى بالمقدم من إحدى النسبتين ، وبالثانى من الأخرى ، لأن الطرفين حاصران للوسطين ، ويدلان عليهما ، لأجل ارتباط التناسب(٤٧).

ولهذا النوع من الحذف قيمة بيانية وبلاغية خاصة. وقد نوه به السجلماسى فقال : "إنه من القول الجميل ذى الطلاوة والبهجة والماء والعذوبة، الجزل المقطع ، الغريب المنزع ، اللذيذ المسموع ، لما بين أجزائه من الارتباط ولما للنفس الناطقة من الالتذاذ بإدراك النسب والوصل بين الأشياء.. فلذلك توفر له من المزية ما يباين به سائر النظوم(٤٨).

وصور هذا النوع فى النظم القرآنى كثيرة ، وهى من ألطف أنواع الحذف وأبدعها ، ومن أنواع الحذف التى تتصل بالتناسب هذه الأمثلة :

١- قوله عز وجل : (فاعتزلوا النساء فى المحيض، ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله)(٤٩).

فهو قول مركب من أجزاء أربعة ، نسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثانى إلى الرابع ، وذلك أن قوله : (حتى يطهرن) وهو الأول ، مناسب للثالث ، وهو قوله : (فإذا طهرن) وقوله : (ويتطهرن) ، وهو الثانى مناسب لقوله : (وتطهرن) ، وهو الرابع . وتقدير محذوفاته : "حتى يطهرن ويتطهرن ، فإذا طهرن وتطهرن فأتوهن .." فحذف الثالث لدلالة الأول عليه، وحذف الثانى لدلالة الرابع عليه ، ودلالة السياق قاطعة بهذه المحذوفات ، وبهذا يعتضد القول بالمنع من وطء الحائض إلا بعد الطهر والتطهر معا ، وهو مذهب الإمام الشافعى[٥٠].

٢-وقوله تعالى : (فليأتنا بآية كما أرسل الأولون)[٥١].

وتقدير محذوفاته : إن أرسل فليأتنا بآية كما أرسل الأولون فأتوا بآية. فنسبة قوله : (إن أرسل) وهو المحذوف الأول ، إلى قوله : (كم أرسل الأولون) ، وهو الثالث المثبت ، كنسبة قوله : (فليأتنا بآية) ، وهو الثانى المثبت إلى قوله : (فأتوا بآية) ، وهوالرابع المحذوف ، فاجتزئ من كل متناسبين بأحداهما ، لقطع الدلالة عليه ، وذلك أنه اجتزئ من الأول المحذوف وهو قوله تعالى : (إن أرسل) ، بالثالث المثبت ، وهو قوله : (كما أرسل الأولون) ، كما اجتزئ من الرابع المحذوف وهوقوله : (فأتوا بآية) بالثانى المثبت ، وهو قوله : (فليأتنا بآية) ، فحذف من الأول ما أثبت فى الثانى ، ومن الثانى ما أثبت فى الأول[٥٢].

٣- ومنها قوله تعالى : (ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم)[٥٣].

تقديره - كما قال المفسرون - : ويعذب المنافقين أن شاء فلا يتوب عليهم، أو يتوب عليه فلا يعذبهم . فحذف الطرفان الثانى والثالث لدليل التناسب .

٤- ومنها قوله تعالى : (وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضـــاء مـن غـير سوء)[٥٤]

تقدير محذوفاته : أدخل يدك تدخل ، وأخرجها تخرج بيضاء من غير سوء.

إلا أنه قد عرض فى هذه المادة تناسب بالطباق (يعنى أدخـــل يـدك تخرج) ، فلذلك بقى القانون فيه الذى هو نسبة الأول إلى الثـــالث ، ونسـبة الثانى إلى الرابع على حال الأكثرية ، فلم يتغير عن موضعة. [٥٥]

مما تقم فى هذا الفصل يتضح أن نظام تركيب الجملة القرآنية نظـــام محكم يراعى فيه أن يكون صالحا ، لتأدية المعنى على أكمل الوجوه ، وأنـــه يكون متآلفا متناسبا مع النظم القرآنى فى السياق المعنوى فى كل مقام .

والوفاء بهذين الغرضين فى النظم ، هو أعلى مراتب البلاغة التـــى تنقطع دونها أعناق البلغاء .

ولهذا الغرض المزدوج تقدم بعض عناصر الجملة القرآنية ، وتؤخـر أخرى ، وتحذف عناصر أو تذكر .

وقد حاولنا من خلال الأمثلة التى عرضناها أن نبين بعـــض أوجـه التناسب المعنوى اللطيف فى اختيار تركيب الجملة القرآنية ، لكن يجـب أن نعترف بأن الإحاطة بأسرار القرآن من هذا الوجه غاية بعيدة المنال . لكـــن مالا يدرك كله لا يترك جله .

ثانيا : التقديم والتأخير والتناسب فى النظم القرآنى :

تناول البلاغيون وعلماء الإعجاز مبحث التقديم والتأخير فى الأسلوب القرآنى بالدرس والتحليل ، وبينوا أغراضه وأنواعه ، ونوهوا بقيمته البيانيـة والبلاغية .

فنقل الفخر الرازى عن أبى الحسن الرمانى أن التركيب الذى يقع فيه النقل بالتقديم والتأخير يحسن من وجوه ، منها :

١- أن يكون التأخير أليق بما اتصل به من الكلام كقوله عز وجل : "سوتغشى وجوهم النار [٥٦] " فهذا أليق بما بعده ، وهو " إن الله سريع الحساب " ، وهو أشكل بما قبله أيضا ، لان قبله: " مقرنين فى الأصفاد".

٢- أن تكون الحاجة إلى ذكره أشد وإلى العلم به أهم ، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم .

وقال عبد القاهر الجرجانى : " هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لايزال يفتّر لك عن بديعه ، ويفضى بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شئ وحول اللفظ عن مكانه إلى مكان [٥٧]".

وذهب ابن الأثير إلى أن التقديم والتأخير يستعمل لغرضين هما : الاختصاص ، ومراعاة نظم الكلام ، وقال : "وهذا الوجه الثانى أبلغ وأوكد من الاختصاص[٥٨]".

وساق أمثلة من القرآن الكريم وقع فيها التقديم مراعاة لنظم الكلام، كقوله عز وجل : (فأوجس فى نفسه خيفة موسى[٥٩] "قال : "وإنما قدم المفعول على الفاعل ، وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وبحرف الجر قصدا لتحسين النظم".

ومنه قوله عز وجل : "وجوهٌ يومئذ ناضرةٌ إلى ربها ناظرة[٦٠]". فتقديم الظرف هاهنا ليس للاختصاص ، وإنما هو من أجل نظم الكلام[٦١].

ومنه قوله تعالى : "إياك نعبد وإياك نستعين[٦٢]". قال : فإنه لم يقدم المفعول للاختصاص خلافا للزمخشرى ، وإنما قدم لمراعاة نظم الكلام ، لأنه لو قال : نعبدك ونستعينك ، لم يكن له حسن ، ألا ترى أنه قدم قوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم). فقال بعده : (إياك نعبد وإياك نستعين). وذلك لمراعاة حسن النظم السجعى الذى هو على حرف النون[٦٣].

يبدو جليا من تحليلات ابن الأثير للأمثلة القرآنية التى ساقها - للتقديم والتأخير - أنه يفصل بين الوظيفة الجمالية والوظيفة المعنوية للتقديم والتأخير فى النظم القرآنى. وقد بدا ذلك واضحا فى قوله : إن تقديم المفعول فى قوله عز وجل : "إياك نعبد وإياك نستعين" لم يكن للاختصاص وإنما هو لمراعاة نظم الكلام.

كما يبدو من رأيه وتحليله لأمثلة من التقديم والتأخير فى القرآن ، أنه يذهب إلى أن مراعاة نظم الكلام هى أهم أغراض التقديم والتأخير فيها ، وهو بهذا الرأى يناقض ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجانى الذى يرى أن أهم أغراض التقديم والتأخير هو الغرض المعنوى.

والذى نراه صائبا هو أن التقديم والتأخير فى النظم القرآنى يجمع بين الوظيفتين الجمالية والمعنوية على السواء ، وإلا فما الذى يمنع أن نقول : أن التقديم فى (إياك نعبد وإياك نستعين) وقع لإفادة الاختصاص ، ولمراعاة نظم الكلام معا.

تلك لمحة موجزة عن آراء البلاغيين فى أسلوب التقديم والتأخير وأغراضه ، والملاحظ أنهم لم يتجاوزوا فى دراسة هذا الأسلوب حدود الجملة وأحوال تركيبها. ولم يتعمقوا فى بحث صلته بالتناسب فى النظم القرآنى.

ومبحث التقديم والتأخير في الأسلوب القرآني لا ينحصر في دائـــرة تركيب الجملة ، بل يتناول إلى جانب ذلك مباحث أخرى : كترتيب الصفات ، وترتيب المتعاطفين بالواو ، لأن الواو - كما قيل - وإن كانت لا تفيد الترتيب فإنه لا يتقدم اللفظ في الكتاب العزيز ذكرا ، أو يتأخر إلا لموجب[٦٤].

وأشار الإمام السهيلي إلى الأصل البياني العام للتقديم ، ثم بين بعـض أسبابه فذكر أن ما تقدم من الكلم فتقديمه في اللسان على حسب تقدم المعـــاني في الجنان. وأن المعاني تتقدم بأحد خمسة أشياء : إما بالزمان ، وإما بالطبع ، وإما بالرتبة ، وإما بالنسب ، وإما بالفضل والكمال.

وقال : "نعم ، وربما كان ترتيب الألفاظ بحســـب الخفـــة والثقـــل لا يحسب المعاني ، كقولهم : ربيعة ومضر. ولهذا دعا إلى وجوب البحث عـــن الحكمة في تقديم ما قدم ، وتأخير ما أخر من الألفاظ فـــي القـــرآن نحـــو : "السميع البصير" ، و "الظلمات والنور" ، و "الليل والنهار" ، "والجن والإنس". وتقديم السماء على الأرض في الأكثر وتقديم الأرض عليها في بعض الآيات، ونحو "سميع عليم" ، ولم يجئ عليم سميع ، وكذلك "عزيز حكيم" ، و "غفـــور رحيم" ، وفي موضع واحد "الرحيم الغفور" إلى غير ذلك مما لا يكاد ينحصر. وليس شئ من ذلك يخلو من فائدة لأنه كلام الحكيم الخبير.[٦٥]

وفي كتب علوم القرآن دراسة مفصلة للتقديم والتأخير فـــي أســـلوب القرآن ، تناولت بالبحث أنواعه وأغراضه ، وأوضحت ما خالف فيه القـــرآن أحد الأسباب السابقة مراعاة لوجه من أوجه التناسب . كالمحافظة على تناسب الفواصل ، أو تناسب السياق.

وسنركز الاهتمام هنا على ما وقع فيه التقديم والتأخير حفاظا على وحدة السياق.

يقع التقديم والتأخير حفاظا على وحدة السياق فى تركيب الجملة ، وفى ترتيب الصفات ، وفى ترتيب المتعاطفين بالواو.

أولا : التقديم والتأخير فى تركيب الجملة القرآنية :

١- قال عز وجل فى سورة النحل : "ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء[٦٦]"

- وقال فى سورة النساء : "وجئنا بك على هؤلاء شهيدا[٦٧]". فأخر المجرور بـ "على" فى سورة النحل ، وقدم فى سورة النساء.

أما آية النساء فلم يرد فيها إفصاح بذكر المشهود عليهم ، ولا كناية عنهم بضمير ، ولا أسم إشارة ، بل فى آية النساء داع إلى تقدم المجرور بعلى ، وهو أنه لما تقدم قوله تعالى : (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر)[٦٨] ، وذلك من صفة المنافقين ، ناسب هذا تقدم المجرور فى قوله : (وجئنا بك عل هؤلاء شهيدا) ، حتى كأنه بحسب المفهوم لم يقصد به غيرهم ، ولا شهد على من سواهم وليس فى آية النحل ما يقتضى ذلك ، بل مقتضاها إطلاق شهادته عليه السلام للجميع من صالح وطالح ، إذ لم يتقدم قبلها التقييد..

أما آية النحل فتقدمها قوله تعالى : (ويم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم)[٦٩] فتقدم اسم الشهيد على المشهود عليه ، فورد ما نسق على ذلك من الأخبار بشهادته عليه السلام على أمته مرتبا على ما تقدمه من

- مقتضى النظم فى التناظر والتناسب. فقيل : (وجئنا بك شهيداً على هؤلاء) ، متوازنا مع قوله : (شهيدا عليهم)..[٧٠]

٢-قال عز وجل فى سرة البقرة : (ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله إن كنتم إيّاه تعبدون . إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله)[٧١] .

- وقال فى سورة الأنعام : (قل لا أجد ما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة . . . أو فسقا أهل لغير الله به[٧٢])

- وقال فى سورة المائدة : "حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به[٧٣]".

- وقال فى سورة النحل : "إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به[٧٤]" فقدم فى آية سورة البقرة المجرور الذى هو "به" وأخر فيما سواها.

ومعروف أن العرب مهما أعتنت بشئ ، أو قصدت به قصد زيادة من تشريف أو تأكيد قدمته ، أو قدمت ضميره ، قال سيبويه : "كأنهم يقدمون الذى هو أهم ، وهم ببيانه أعنى[٧٥]"

وآية البقرة قد تقدم قبلها قوله تعالى : (ياأيها الناس كلموا مما فى الأرض حلالا طيبا)[٧٦]. وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم)[٧٧] ، فورد تعريفهم بذكر ما أبيح لهم ، وورد ما يقصد إيجابه وإباحته مفتتحا بنداء المخاطبين ، ومختتما بالأمر بالشكر لجليل تلك النعمة ، وعظيم التوسعة فيها ، فلما تحصل بهذه المقاصد الجليلة ما ليس فى شئ من تلك المواضع والآيات الأخر ، وخص ما ذكره بعد مما حرم عليهم بكلمة

"إنما" المقتضية الحصر ، والرافعة لضعف المفهوم.. فلما تحصل فى هـــذه الآية ما أشير إليه من تأكيد هذا المحرم ، مما ليس فى الأى الأخرى ، ناســيه تقديم المضمر المجرور ، فى قوله (وما أهل به) ليكون الكلام بتقديم المجرور فى قوة أن لو قيل : إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، والمهل بــه لغير الله ، وهذا مقصود الكلام ، ولم يكن تأخير المجرور ليحرز هــذا ، ولا ليناسب ما تقدم ، فجرى الكلام كله من أول القصة إلى آخرها على أســلوب من البلاغة ملحوظ فى آخره وأوله.

أما الآى الأخرى فليس فيها ما فى هذه ، فتأخر الضمير المجرور إلى محله الذى هو موضعه ، ولم يكن ليناسبه التقديم.[٧٨]

٣- قال عز وجل فى سورة الروم : "ولقد أرسلنا من قبلــك رســلا إلــى قومهم[٧٩]"

- وقال فى سورة الرعد : " ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجــا وذرية [٨٠] "

فقدم المجرور على ذكر الرسل فى سورة الروم ، وقدم ذكر الرســل على المجرور فى سورة الرعد .

والقاعدة فى القرآن الكريم أنه إذا ورد اسم الرسول - عليه الســلام - مع غيره من الرسل ، عليهم السلام ، أن يتقدم اسمه ظاهرا كان أو مضمرا. وعلى هذة القاعدة قدم المجرور فى قوله عز وجل : " من قبلك رسلا " فــى سورة الروم.

أما آية سورة الرعد فقد تأخر ضمير محمد - صلى الله عليه وســلم - عند ذكر الرسل ، لأن ذكرهم هنا لم يرد معرفا بأحوالهم ، وما منحوا مــن

الاصطفاء والتكريم ، ولو ورد ذكرهم لهذا الغرض لكان اسمه عليه السلام متقدم الذكر ...

فقد جاءت الآية في سياق قوله عز وجل : "ولقد استهزئ برسل من قبلك[٨١] "فحملت الآية الثانية في نظمها على الآية المتقدمة ، فتأخر المجرور بـ" من "للموازنة والتناسب[٨٢]".

٤-قال عز وجل في سورة التحريم : "يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم[٨٣].

- وقال في سورة الحديد : "يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيدهم[٨٤]"

فأخر الفعل "يسعى" في الآية الأولى وقدم في الثانية ، ووجه ذلك أن قوله عز وجل في سورة التحريم : "والذين آمنوا معه "يفهم من حيث المعية قرب المنزله ، وعلو الحال ، فناسب ذلك ورود الجملة الإسمية هنا ، لما تقتضيه من الثبوت وتقدمه واستحكامه ، فقيل : "نورهم يسعى".

وأما قوله في سورة الحديد : (يسعى نورهم) فبشارة للمؤمنين ، ولم يأت هنا كونهم مع نبيهم ، فلم يرد مما يُفهم تمكن المنزلة وثبوتها مثل ما ورد في آية التحريم". وإنما هذه بشارة فناسبها التجدد والحدوث فقيل : "يسعى نورهم" ليفهم التكرر وحدوث الشئ بعد الشئ[٨٥].

٥-قال عز وجل في سورة فاطر : (ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)[٨٦]

- وقال تعالى فى سورة النحل : (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)[٨٧]

فقدم المجرور فى الآية الأولى ، فقيل : "فيه مواخر" وأخر فى الآية الثانية ، فقيل : "مواخر فيه".

ووجه التأخير فى الآية الثانية أن الآية جاءت فى سياق بنى على تأخير المجرورات عما تعلقت به ، وجرى الكلام على نسق واحد للتناسب والتشاكل ، فقيل : لتأكلوا منه ..، وتستخرجوا منه ..، ومواخر فيه ، ولو قيل هنا : فيه مواخر لما ناسب ما تقدم.

وأما آية سورة فاطر فمبنية على تقدم المجرور على ما به تعلق. قال تعالى : (ومن كل تأكلون لحما طريا) , فناسب ذلك تأخر العامل فى المجرور الثانى أيضا ، ليتناسب الكلام ببناء آخره على ما بنى عليه أوله[٨٨]

ثانيا : التقديم والتأخير فى ترتيب الصفات :

١-قال عز وجل فى سورة غافر : "ذلكم الله ربكم ، خالق كل شئ لا إله إلا هو .. [٨٩]"

- وقال فى سورة الأنعام : "ذلكم الله ربكم ، لا إله إلا هو خالق كل شئ"[٩٠]

أما الآية الأولى فقد تقدم فى سياقها قوله تعالى : (لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس)[٩١] ثم قوله : (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا)[٩٢] ، فلما تقدم ذكر الخلق الأعظم ، ولم يتقدم مثل ما تقدم فى آية "الأنعام" ، أعقب ذلك بالتنبيه على أنه سبحانه خالق كل شئ ، فكان

تقديم هذا الوصف هنا أنسب للسياق والمقام. فجاء ترتيب الوصفين فى كل من الآيتين على ما يقتضيه انتظام الكلام.

وأما الآية الثانية فقدم فيها الوصف بالوحدانية ، لما تقدم قبلها فى قوله تعالى : (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم ، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم)[٩٣]. وقوله : (أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة)[٩٤]. فلما تقدم هذا فى السياق كان نفى ما جعلوه وادعوه من الشركاء والصاحبة والولد أنسب ، فقدم قوله تعالى : (لا إله إلا هو) ، لأن السياق كان فى تقرير وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن الشركاء والولد.[٩٥]

٢- قال عز وجل فى سورة يوسف : "ويُتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق ، إن ربك عليم حكيم[٩٦]".

- وقال فى سورة الأنعام : "نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم[٩٧]".

فقدم "العليم" فى الآية الأولى وأخر فى الثانية . أما الآية الأولى فتقدم فيها "العليم" على "الحكيم" لقوله عز وجل قبلها : (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث) ، ولقوله بعدها : (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث)[٩٨]. فكان تقديم صفة العلم أنسب لهذا السياق.

وأما الآية الثانية فتقدم فيها "الحكيم" على "العليم" لأنها وردت فى مقام تشريع الأحكام.

٣- قال عز وجل فى سورة هود : "إن إبراهيم لحليم أوّاه منيب[٩٩]".

- وقال فى سورة التوبة : "إن إبراهيم لأواه حليم[١٠٠]". فتقدم فى الآية الأولى وصفه بـ "حليم "على "أوّاه" ، وتأخر فى الثانية.

فأما الآية الأولى فقد تقدم فيها وصفه بالحلم مراعاة لما ذكر قبل من مجادلة إبراهيم فى قوم لوط ، لما علم بأن الله حكم عليم بالهلاك ، وذلك من فرط حلمه عليه السلام. فكان تقديم وصفه بالحلم فى هذا السياق أنسب.

والأوّاه .. فى الآية الثانية : الكثير التأوه. والمراد بالآية أن إبراهيم، عليه السلام ، مع غلظة أبيه عليه ، يتأوه نأسفا وتحسرا على إعراض أبيه عن إجابة دعوته. وكان عليه السلام لفرط رأفته وحلمه يعطف على أبيه ويستغفر له ، ولم يزل على ذلك إلى أن تبين له أنه عدو لله ، فتبرأ منه ، فأخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من أبيه إبراهيم فى ذلك ليقتدى به. فتقدم وصف إبراهيم ، عليه السلام ، فى هذه الآية بأنه أوّاه مراعاة لما يناسب هذا السياق.[١٠١]

ثالثا : التقديم والتأخير فى ترتيب المتعاطفين بالواو أو بأو

١- قال عز وجل فى سورة المؤمنين : "وجعلنا ابن مريم وأمه آية[١٠٢]"

- وقال سبحانه فى قصة مريم من سورة الأنبياء : (وجعلناها وابنها آية للعالمين[١٠٣]) فقدم الابن فى الآية الأولى ، وقدم ضمير مريم على الابن فى الآية الثانية.

أما تقديم الابن فى الآية الأولى ، فلأن السياق فى ذكر الرسل ، وقد عرضت السورة قصة إرسال نوح عليه السلام ، وورد فيها بعد ذلك : (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين. فأرسلنا فيهم رسولا منهم)[١٠٤]. وأشارت بإيجاز إلى إرسال موسى وهارون ، ثم جاء ذكر عيسى عليه السلام فقال عز وجل : (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) فكان تقديم الابن هنا مناسبا للسياق ، لأن عيسى عليه السلام من الرسل.

أما تقديم ضمير مريم فى آية "الأنبياء" ، فلأن السياق فى ذكر مريم ، ولأن قبل الآية ، "والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا[١٠٥]".

٢-قال عز وجل فى سورة يونس : "قل لا أملك لنفسى ضراً ولا نفعا إلا ما شاء الله [١٠٦]"

- وقال فى سورة الأعراف : "قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله(١٠٧)". فأخر ذكر النفع فى سورة يونس ، وقدم فى سورة الأعراف.

ووجه تأخير ذكر النفع فى سورة يونس ، وتقديم الضر عليه ، فلمراعاة ما يناسب ما تقدم فى السياق قبل ، وهو قوله عز وجل : (ويقولون متى هذا الوعد). فطلبوا تعجيل العذاب استهانة وتكذيبا ، ولم يعلموا ما فى طلبهم من المحنة والمضرة العاجلة ، فقال لهم عليه السلام بأمر ربه : إنّى لا أملك الضر ولا النفع لنفسى ، ولا لكم ، فلا تستعجلونى ذلك ، فليس بيدى ، فقدم الضر هنا ، لأجل ما تقدم من طلبهم تعجيل العذاب.

أما تقديمه فى الآية الثانية ، أنها وردت فى سياق ذكر فيه أن الكفار سألوا النبى - عليه السلام - عن الساعة وتكرر ذلك فى قوله عز وجل : (يسألونك كأنك حفىّ عنها) أى عالم بها ، وكان ظاهر السياق يشير إلى أنهم كانوا يظنون أنه عليه السلام يعلمها ، فطلبوا تعريفهم بها ، ولا شك أن العلم بالشئ نفع لصاحبه ، فعرفهم أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا. وتقدم ذكر النفع لأنه مشير إلى ما ظنوه أنه عنده من علمها. فأعلمهم أنه ، عليه السلام ، لا يملك من ذلك شيئا إلا ما شاء الله.[١٠٨]

٣- وقال عز وجل فى سورة النحل : (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون[١٠٩])

فقدم "تريحون" على "تسرحون" ، وإراحة الأنعام متأخرة فى الترتيب الزمنى . ولكن لما كان السياق فى بيان ما فى الأنعام من متعة وجمال للإنسان ، والأنعام تبدو وقت رواحها أكثر جمالا ، لأنه تعود من المرعى بطانا ، لذلك فإن تقديم "تريحون" هو الذى يناسب هذا السياق.

والقاعدة فى الأسلوب القرآنى ، حيثما ورد ذكر الرحمة والعذاب أن يقدم ذكر الرحمة ويؤخر ذكر العذاب. وخرج عن هذه القاعدة مراعاة لما يناسب السياق فى مواضع ، فقدم ذكر العذاب.

ومن ذلك قوله عز وجل فى سورة العنكبوت : "يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون[١١٠]".

ووجه المناسبة فى تقديم ذكر العذاب فى هذه الآية ، أنها وردت فى سياق حكاية إنذار إبراهيم - عليه السلام - لقومه ، وفيهم النمرود ، على قول، وفى سياق مخاطبة كفار مكة على قول آخر.

ومن ذلك قوله عز وجل فى سورة المائدة : "ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ، يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء ، والله على كل شئ قدير[١١١]"

ووجه المناسبة فى تقديم ذكر العذاب فى هذه الآية أنها وردت فى سياق ذكر حكم قطاع الطرق والمحاربين والسراق ، فكان تقديم العذاب هو الذى يناسب ذلك.

٤- ومن هذا القبيل أيضا قوله عز وجل فى سورة الأنعام : "إن ربك سريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم[١١٢]"

ووجه تقديم ذكر العذاب في هذه الآية أيضا أن سورة الأنعام كلها مناظرة للكفار ووعيد لهم ، وورد فيها قبيل هذه الآية : "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ". وهو تهديد ووعيد ، فكان تقديم ذكر العقاب أنسب لهذا.

٥- وقال عز وجل : (ففهمناها سليمان ، وكلا آتينا حكما وعلما)[١١٣]

فقدم الحكم مع أن العلم قبل الحكم ، ولكن لما كان السياق في الحديث عن الحكم كان تقديمه أنسب ، وقبل هذه الآية قوله تعالى : (وداوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم ، وكنا لحكمهم شاهدين)[١١٤]

٦- وقال عز وجل في سورة آل عمران : "قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله"[١١٥]

- وقال في سورة البقرة : "لله ما في السموات وما في الأرض ، وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله"[١١٦]

فتقدم في الآية الأولى ذكر الإخفاء ، وتأخر في آية البقرة. والمراد من الآيتين تعريف العباد بإحاطة علمه عز وجل بما ظهر وما بطن على حد سواء.

أما الآية الأولى فقد وردت في سياق ، سبق فيه قوله تعالى ناهيا زاجرا : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين)[١١٧]. وحذر تعالى من ذلك أشد التحذير إلا عند التقية ، فقال تعالى : (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ إلا أن تتقوا منهم تقاة)[١١٨] ، ثم اتبع ذلك بتأكيد التحذير ، فقال : (ويحذركم الله نفسه)[١١٩]. فلما نهاهم الله تعالى عن هذا الفعل الذي هو من صفات المنافقين ، أعني إبداء الشئ وإخفاء خلافه في المعتقدات ، كان أهم

شئ إعلامهم بأنه سبحانه يعلم ما يخفون كعلمه ما يبدون ، فهذا وجه تقديم الإخفاء فى آية آل عمران.

أما آية البقرة فلم يجر فيها ذكر النفاق ولا صفة أهله ، وإنما الخطاب فيها وفى آية الذين قبلها ، وفيها أعقبت به بعد للمؤمنين ، فيما يخصهم من الأحكام ، فورد فيها قوله تعالى : (وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)[١٢٠]. مقدما فيها بادى أعمالهم بناء على سلامة بواطنهم وتنزيههم عن صفة المنافقين.. وتقديم ذكر الإبداء على الإخفاء مطرد فى الآيات التى تختص بذكر المؤمنين ، كما اطرد تقديم الإخفاء فى الآيات التى يذكر فيها المنافقون ، ويراعى فى كل ذلك ما يناسب السياق.[١٢١]

كان هذا تحليلا لجملة من أمثلة التقديم والتأخير فى النظم القرآنى ، حاولنا أن نظهر به كيف يحافظ فى النظم القرآنى على وحدة السياق ، وانتظام نسق الكلام ، وكيف يراعى ذلك فى اختيار التراكيب اللغوية.

ويستفاد من تلك الأمثلة أن وحدة السياق تؤثر فى اختيار التراكيب ، وأن القرآن لا يغير التعبير عن المعنى الواحد لمجرد التصرف فى الفصاحة ، بل يفعل ذلك حفاظا على تناسب الكلام وزيادة البيان.

وقد اخترنا هذه الأمثلة ، أو جلها من الآيات المتشابهة ، وهى تلك الآيات التى تتحد فى المعنى المراد بها ، وتختلف من حيث التركيب ، بالتقديم والتأخير ، من سياق إلى آخر.

المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم.

ثانيا :

- الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، المكتبة الثقافية ، بيروت ١٩٧٣م.
- أحكام القرآن ، ابن العربي (أربعة أجزاء) تحقيق محمد علي البجاوي ، الطبعة الثانية، عيسى الحلبي ١٩٦٧-١٩٦٨م.
- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق أحمد مصطفى المراغي، مطبعة الاستقامة ، القاهرة سنة ١٩٣٢م.
- الإشارة إلى الإيجار في بعض أنواع المجاز ، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، دار الطباعة العامرة سنة ١٣١١هـ .
- إعجاز القرآن ، أبو بكر الباقلاني ، تحقيق السيد أحمد صقر ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٤م .
- بدائع الفوائد ، لابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي ، بيروت (بدون تاريخ)
- البرهان في توجية متشابة القرآن ، لتاج القراء محمود بن حمزة الكرمالي ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٦م.
- البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق أحمد أبو الفضل ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٢م.
- البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة (أربعة أجزاء) ، بيروت ١٩٤٨م.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : د/ محمد خلف الله أحمد ، د/ محمد زغلول سلام ، طبعة دار المعارف بمصر (بدون تاريخ)
- حجة القراءات ، لأبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة ، تحقيق : سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٤م.

- الحجة فى علل القراءات السبع ، لأبى على الحسن بن أحمد الفارسى، تحقيق : على النجيدى ناصف - د. عبد الحليم النجار - د. عبد الفتاح شلبى ، ومراجعة محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م.
- الخصائص ، لأبى الفتح عثمان بن جنى ، تحقيق : محمد على النجار ، دار الكتاب العربى ، بيروت. ١٩٥٢م.
- درة التنزيل وغرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز ، الخطيب الاسكافى ، الطبعة الأولى ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٣م.
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجانى ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٨٤م.
- الروض المريع فى صناعة البديع ، ابن البناء المراكشى ، تحقيق : رضوان بنشقرون ، طبعة دار النشر المغربية ١٩٨٥م.
- الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها ، أحمد بن فارس ، تحقيق : د. مصطفى الشويمى ، بيروت ١٩٦٤م.
- الكتاب : كتاب سيبويه أبى بشر عمرو بن عثمان ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، دار العلم ١٩٦٦م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، مكى بن أبى طالب القيسى ، تحقيق : د. محيى الدين رمضان ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ١٩٨٤م
- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق : احمد الحوفى - د. بدوى طبانة ، الطبعة الأولى ، مكتبة نهضة مصر ١٩٦٢م.
- معترك الأقران فى إعجاز القرآن ، جلال الدين السيوطى ، تحقيق : على محمد البجاوى ، دار الفكر العربى (بدون تاريخ)
- مقدمة ابن خلدون ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت (بدون تاريخ)
- ملاك التأويل القاطع بذوى الالحاد والتعطيل فى توجيه المتشابه اللفظ من آى التنزيل ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطى ، تحقيق : سعد الفلاح ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامى ١٩٨٣م.

- المنزع البديع فى أساليب البديع ، أبو محمد السجلماسى ، تحقيق : د. علال الغازى ، الطبعة الأولى ، مكتبة المعارف ، الرباط ١٩٨٠م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجنى ، تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، الطبعة الثالثة ، دار الغرب الإسلامى ١٩٨٦م.
- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ، برهان الدين البقاعى ، عنى بطبعه : مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد بالهند ١٩٦٩م.

مراجع توطئه

(١)معترك الأقران فى إعجاز القرآن ، جلال الدين السيوطى ، تحقيق على محمد البجاوى ، دار الفكر العربى ٦٢/١.
(٢)نظم الدرر فى تناسب الآى والسور ، برهان الدين البقاعى ، طه حيدر آباد ١٩٦٩م:٦/١.

مراجع المبحث الأول

(١) إعجاز القرآن لأبى بكر الباقلانى ؛ تحقيق السيد أحمد صقر ، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر ١٩٥٤م ،ص١٨٤.
(٢) سورة غافر الآية ٥.
(٣) إعجاز القرآن ، ص١٩٧.
(٤) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ، تحقيق وتعليق : د/ محمد خلف الله - د/ محمد زغلول سلام ، ط دار المعارف بمصر ، ص٢٦.
(٥) البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو الجاحظ ؛ تحقيق : عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٩٤٨م ، جـ١/ ٢٠.
(٦) سورة الأحقاف الآية ٣٠
(٧) سورة الفاتحة الآية ٦.
(٨) سورة الأحقاف الآية ٣٠
(٩) سورة الأحقاف الآية ٩
(١٠) انظر بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربى ، بيروت (بدون تاريخ) ١٦/٢ وما بعدها
(١١) سورة فصلت الآية ٣٩.
(١٢) سورة الحج الآية ٥
(١٣) سورة فصلت ، الآية ٣٧-٣٩.
(١٤) سورة الحجر ، الآية ٥.
(١٥) سورة الزمر ، الآية ٥١.
(١٦) سورة النحل ، الآية ٣٤.

(١٧) سورة الزمر ، الآية ٤٨.
(١٨) سورة الزمر ، الآية ٥٠.
(١٩) سورة النحل ، الآية ٢٨.
(٢٠) سورة النحل ، الآية ٣٢.
(٢١) نفس السورة ، الآية ٣٣.
(٢٢) سورة النجم ، الآية ٣٠
(٢٣) سورة الأنعام ، الآية ١١٧.
(٢٤) انظر ملاك التأويل القاطع بذوى الالحاد والتعطيل فى توجيه المتشابه اللفظ من آى التنزيل لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطى ، تحقيق سعد الفلاح ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامى ١٩٨٣م ١/٤٧١.
(٢٥) سورة طه ، الآية ١٢٣.
(٢٦) سورة البقرة ، الآية ٣٨.
(٢٧) سورة طه ، الآية ١٢٠.
(٢٨) انظر ملاك التأويل ١/١٩٠ وما بعدها.
(٢٩) سورة طه ، الآية ١٠٨ ، وانظر البرهان فى متشابه القرآن ، لتاج القراء محمود بن حمزة الكرمالى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٦ ص٢٧.
(٣٠) سورة البقرة ، الآية ٣٦.
(٣١) سورة التكوير ، الآية ٦.
(٣٢) سورة الانفطار ، الآية ٣.
(٣٣) سورة التكوير ، الآية ١-٧.
(٣٤) انظر ملاك التأويل ٢/١١٣٨.
(٣٥) السابق ٢/١١٣٧.
(٣٦) درة التنزيل وغرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز ، الخطيب الإسكافى ، الطبعة الأولى ، دارالآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٣، ص٥٢٠ وما بعدها.

(٣٧) سورة الأحزاب ، الآية ٥٤.
(٣٨) سورة النساء ، الآية ١٤٩.
(٣٩) سورة الأحزاب ، الآية ٥٣.
(٤٠) سورة الأحزاب ، الآية ١٢.
(٤١) انظر ملاك التأويل ٣٦١/١ وما بعدها.
(٤٢) سورة النساء ، الآية ٨.
(٤٣) سورة النساء ، الآية ١٦.
(٤٤) سورة النساء ، الآية ١٩.
(٤٥) سورة النساء ، الآية ١٢٩.
(٤٦) سورة النساء ، الآية ١٣٠.
(٤٧) درة التنزيل وغرة التأويل ، ص٨٦.
(٤٨) سورة النساء ، الآية ١٤٨.
(٤٩) درة التنزيل وغرة التأويل ، ص٨٥.
(٥٠) سورة عبس ، الآية ٣٣.
(٥١) سورة النازعات ، الآية ٣٤.
(٥٢) انظر درة التنزيل وغرة التأويل ، ص٥١٨.
(٥٣) ملاك التأويل ١١٣٦/٢.
(٥٤) السباق ، نفس الصحيفة.
(٥٥) سورة المزمل ، الآية ٩.
(٥٦) سورة الرحمن ، الآية ١٧.
(٥٧) سورة المعارج ، الآية ٤٠.
(٥٨) انظر بدائع الفوائد ٢٢١/١ وما بعدها.
(٥٩) سورة الرحمن ، د/ شوقي ضيف ، ص٦٧ وما بعدها.
(٦٠) سورة المعارج ، الآية ٤٠٤١.
(٦١) سورة طه ، الآية ١١٣.
(٦٢) سورة الرعد ، الآية ٣٧.

(٦٣) ملاك التأويل ٢/٧٠٩.
(٦٤) السابق ٢/٧٠٧.
(٦٥) سورة البقرة ، الآية ٢٧٩.
(٦٦) الحجة فى علل القراءات السبع لأبى على الحسن بن أحمـــد الفارســى ، تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ، الهيئة المصرية العامة للكتــاب ١٩٨٣: ٢/٣٠٧.
(٦٧) سورة البقرة ، الآية ٢٨٥.
(٦٨) حجة القراءات ، لأبى زرعة بن زنجلة ، تحقيق سعيد الأفغانى ، مؤسســة الرسالة ، الطبعة الرابعة ١٩٨٤ ص١٥٣.
(٦٩) الحجة فى علل القراءات السبع : ٢/٣٣٥.
(٧٠) سورة البقرة ، الآية ١١٩.
(٧١) الحجة فى علل القراءات السبع : ٢/١٦٣-١٦٨.
(٧٢) سورة الرعد ، الآية ٣٣.
(٧٣) حجة القراءات ، ص٣٧٤.
(٧٤) سورة الرعد ، الآية ٤٢.
(٧٥) حجة القراءات ، ص٣٧٥.
(٧٦) سورة آل عمران ، الآية ٧٩.
(٧٧) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، مكى بن أبى طــالب القيسى ، تحقيق : د. محيى الدين رمضان ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرســالة ١٩٨٤م ١/٢٢٥.
(٧٨) سورة الغاشية ، الآية ٤.
(٧٩) حجة القراءات لأبى زرعة ، ص٧٥٩.
(٨٠) سورة الأنعام ، الآية ٩١.
(٨١) حجة القراءات ، ص٢٦١.
(٨٢) سورة البقرة ، الآية ٧٤.
(٨٣) الحجة فى علل القراءات السبع ٢/٩١ وما بعدها.

(٨٤) سورة الأنعام ، الآية ١١٥.
(٨٥) حجة القراءات ، ص٢٦٨.

مراجع المبحث الثانى

(١) انظر كتاب الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها ، أحمد بن فارس، تحقيق مصطفى الشويمى ، بيروت ١٩٦٤ ص٢٤٠ وما بعدها.
(٢) انظر كتاب الخصائص ، لأبى الفتح عثمان بن جنى ، تحقيق محمد على النجار ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٩٥٢ ٢/٣٦٠-٤٤١.
(٣) مقدمة ابن خلدون ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت (بدون تاريخ) ص٥٥٦.
(٤) الخصائص لابن جنى ٢/٣٦٠.
(٥) السابق ، نفس الصحيفة.
(٦) الكتاب : كتاب سيبويه أبى بشر عمرو بن عثمان ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار العلم ١٩٦٦، ١/١٥٣.
(٧) الخصائص : ٢/٣٦٢.
(٨) البرهان فى علوم القرآن ، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ، تحقيق أحمد أبو الفضل ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٢. ٣/١٤٦.
(٩) الاشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز ، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، دار الطباعة العامرة ١٣١١هـ ، ص١١٥-٢٠٥.
(١٠) سورة الزمر ، الآية ٧٣.
(١١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجنى ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، الطبعة الثالثة ، دار الغرب الإسلامى ١٩٨٦. ٣/١٠٥ وما بعدها.
(١٢) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ، تحقيق وتعليق د. محمد خلف الله ، د. محمد زغلول سلام ، طبعة دار المعارف بمصر ، ص٧١.

(١٣) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجانى ، تحقيق محمود محمـــد شـــاكر ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٨٤ ص ١٤٦.
(١٤) سورة السجدة ، الآية ٢٦.
(١٥) سورة الأنعام ، الآية ٦.
(١٦) سورة ص ، الآية ٣.
(١٧) سورة طه ، الآية ١٢٨.
(١٨) سورة مريم ، الآية ٧٤.
(١٩) سورة يس ، الآية ٣١.
(٢٠) سورة السجدة ، الآية ٢٢.
(٢١) سورة السجدة ، الآية ٣٠.
(٢٢) سورة الأنعام ، الآية ٤.
(٢٣) سورة الأنعام ، الآية ٥.
(٢٤) سورة ص ، الآية ١٥.
(٢٥) سورة ص ، الآية ٣.
(٢٦) سورة مريم ، الآية ٧٤.
(٢٧) سورة طه ، الآية ١٢٨.
(٢٨) انظر ملاك التأويل : ١/٤١٥-٤٢٠.
(٢٩) سورة الحج ، الآية ٥.
(٣٠) سورة النحل ، الآية ٧٠.
(٣١) سورة الحج ، الآية ٥.
(٣٢) انظر ملاك التأويل : ٢/٧٤٨ وما بعدها.
(٣٣) سورة الحديد ، الآية ٢١.
(٣٤) سورة آل عمران ، الآية ١٣٣.
(٣٥) سورة التوبة ، الآية ٨٦-٨٧.
(٣٦) سورة التوبة ، الآية ٩٣.
(٣٧) سورة الحج ، الآية ٣٠.

(٣٨) سورة المائدة ، الآية ١.
(٣٩) سورة الأنعام ، الآية ١٤٣.
(٤٠) سورة المائدة ، الآية ٩٦.
(٤١) أحكام القرآن ، ابن العربى تحقيق محمد على البجاوى ، الطبعة الثانيـــة ، عيسى الحلبى ١٩٦٧-١٩٦٨ ٧٤/٢.
(٤٢) سورة المائدة ، الآية ٣.
(٤٣) سورة النحل ، الآية ٢٩.
(٤٤) سورة غافر ، الآية ٧٦، وسورة الزمر ، الآية ٧٢.
(٤٥) المنزع البديع فى أساليب البديع ، لأبى محمد السجلماســـى ، تحقيـق د. علال الغازى ، الطبعة الأولى مكتبة المعارف ، الرباط ١٩٨٠. ص١٩٥.
(٤٦) البرهان فى علوم القرآن ١٢٩/٣.
(٤٧) الروض المريع فى صناعة البديع ، لابـــن البنـــاء المراكشـــى ، تحقيـق رضوان بنشقرون ، طبعة دار النشر المغربية ١٩٨٥.
(٤٨) المنزع البديع ، ص ١٩٥.
(٤٩) سورة البقرة ، الآية ٢٢٢.
(٥٠) المنزع البديع ، ص ١٩٧.
(٥١) سورة الأنبياء ، الآية ٥.
(٥٢) المنزع البديع ، ص ١٩٦.
(٥٣) سورة الأحزاب ، الآية ٤.
(٥٤) سورة النمل ، الآية ١٢.
(٥٥) المنزع البديع ، ص ١٩٨.
(٥٦) سورة إبراهيم ، الآية ٥٠.
(٥٧) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجانى ، تحقيق : محمود محمد شـــاكر ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٦٠.

(٥٨) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق أحمد الحوفى وبدوى طبانة ، ط الأولى ، مكتبة نهضة مصر ١٩٦٢ ، ٢١٨/٢.

(٥٩) سورة طه ، الآية ٦٧.

(٦٠) سورة القيامة ، الآية ٢٣.

(٦١) انظر المثل السائر ٢٢٥/٢.

(٦٢) سورة الفاتحة ، الآية ٥.

(٦٣) المثل السائر ، ٢٢٤/٢.

(٦٤) انظر ملاك التأويل ٤٤٥/١.

(٦٥) انظر بدائع الفوائد ، لابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربى ، بيروت ٦١/١.

(٦٦) سورة النحل ، الآية ٨٩.

(٦٧) سورة النساء ، الآية ٤١.

(٦٨) سورة النساء ، الآية ٣٨.

(٦٩) سورة النحل ، الآية ٨٩.

(٧٠) انظر ملاك التأويل ٣٤١/١ وما بعدها.

(٧١) سورة البقرة ، الآية ١٧٢ ، ١٧٣.

(٧٢) سورة الأنعام ، الآية ١٤٥.

(٧٣) سورة المائدة ، الآية ٣.

(٧٤) سورة النحل ، الآية ١١٥.

(٧٥) الكتاب : كتاب سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار العلم ١٩٦٦: ٢٤/١.

(٧٦) سورة البقرة ، الآية ١٦٨.

(٧٧) سورة البقرة ، الآية ١٧٢.

(٧٨) انظر ملاك التأويل ٢٤٨/١-٢٥١.

(٧٩) سورة الروم ، الآية ٤٧.

(٨٠) سورة الرعد ، الآية ٣٨.
(٨١) سورة الرعد ، الآية ٣٢.
(٨٢) انظر ملاك التأويل ٢/٧٠٩-٧١١.
(٨٣) سورة التحريم ، الآية ٨.
(٨٤) سورة الحديد ، الآية١٢.
(٨٥) انظر ملاك التأويل ، ٢/١٠٧١.
(٨٦) سورة فاطر ، الآية ١٢.
(٨٧) سورة النحل ، الآية ١٤.
(٨٨) انظر ملاك التأويل ، ٢/٧٣٤ وما بعدها.
(٨٩) سورة غافر ، الآية ٦٢.
(٩٠) سورة الأنعام ، الآية ١٠٢.
(٩١) سورة غافر ، الآية ٥٧.
(٩٢) سورة غافر ، الآية ٦١.
(٩٣) سورة الأنعام ، الآية ١٠٠.
(٩٤) سورة الأنعام ، الآية ١٠١.
(٩٥) انظر درة التنزيل ، ص١٢٧، وملاك التأويل ١/٤٦٨.
(٩٦) سورة يوسف ، الآية ٦.
(٩٧) سورة الأنعام ، الآية ٨٣.
(٩٨) سورة يوسف ، الآية ١٠٠.
(٩٩) سورة هود ، الآية ٧٥.
(١٠٠) سورة التوبة ، الآية ١١٤.
(١٠١) انظر ملاك التأويل ١/٦٠٣ وما بعدها.
(١٠٢) سورة المؤمنون ، الآية ٥٠.
(١٠٣) سورة الأنبياء ، الآية ٩١.
(١٠٤) سورة المؤمنون ، الآية ٣١.
(١٠٥) سورة الأنبياء ، الآية ٩١.

(١٠٦) سورة يونس ، الآية ٤٩.
(١٠٧) سورة الأعراف ، الآية ١٨٨.
(١٠٨) انظر ملاك التأويل ١/٥٧٧.
(١٠٩) سورة النحل ، الآية ٦.
(١١٠) سورة العنكبوت ، الآية ٢١.
(١١١) سورة المائدة ، الآية ٤٠.
(١١٢) سورة الأنعام ، الآية ١٦٥.
(١١٣) سورة الأنبياء ، الآية ٧٩.
(١١٤) نفس السورة ، الآية ٧٨.
(١١٥) سورة آل عمران ، الآية ٢٩.
(١١٦) سورة البقرة ، الآية ٢٨٤.
(١١٧) سورة آل عمران ، الآية ٢٨.
(١١٨) نفس الآية.
(١١٩) نفس الآية.
(١٢٠) سورة البقرة ، الآية ٢٨٤.
(١٢١) انظر ملاك التأويل ١/٢٧٩-٢٨٢.